

AMERICAN UNIV. IN CAIRO LIBRARY



38534018942296

38534018942296

38534018942296

L.C.
31
B
19

02-B963

part 11-2-02



THE LIBRARY



LC
31
B56125
1906

تفسير النفس بالنفس

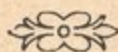
(تأليف)

الاستاذ جون ستوارت بلاكي من اساتذة كلية أيدمبرج الجامعة

JOHN STUART BLACKIE

وتعريب

محمد جمال



٢٣٢٤ - ١٩٠٦

مطبعة ممد رسته والدة عبد الأول

(بالطريقة الشرقية بشارع خيرت بالقاهرة)

هذا الكتاب يظهره مؤلفه جليل ولا يتزعم بقوله له

علمه على دائرة الترتيب الانطوني بما افرجه عن طول العرس

الشمسية و جعل ملامحه تفيد الرقابة على الصبح

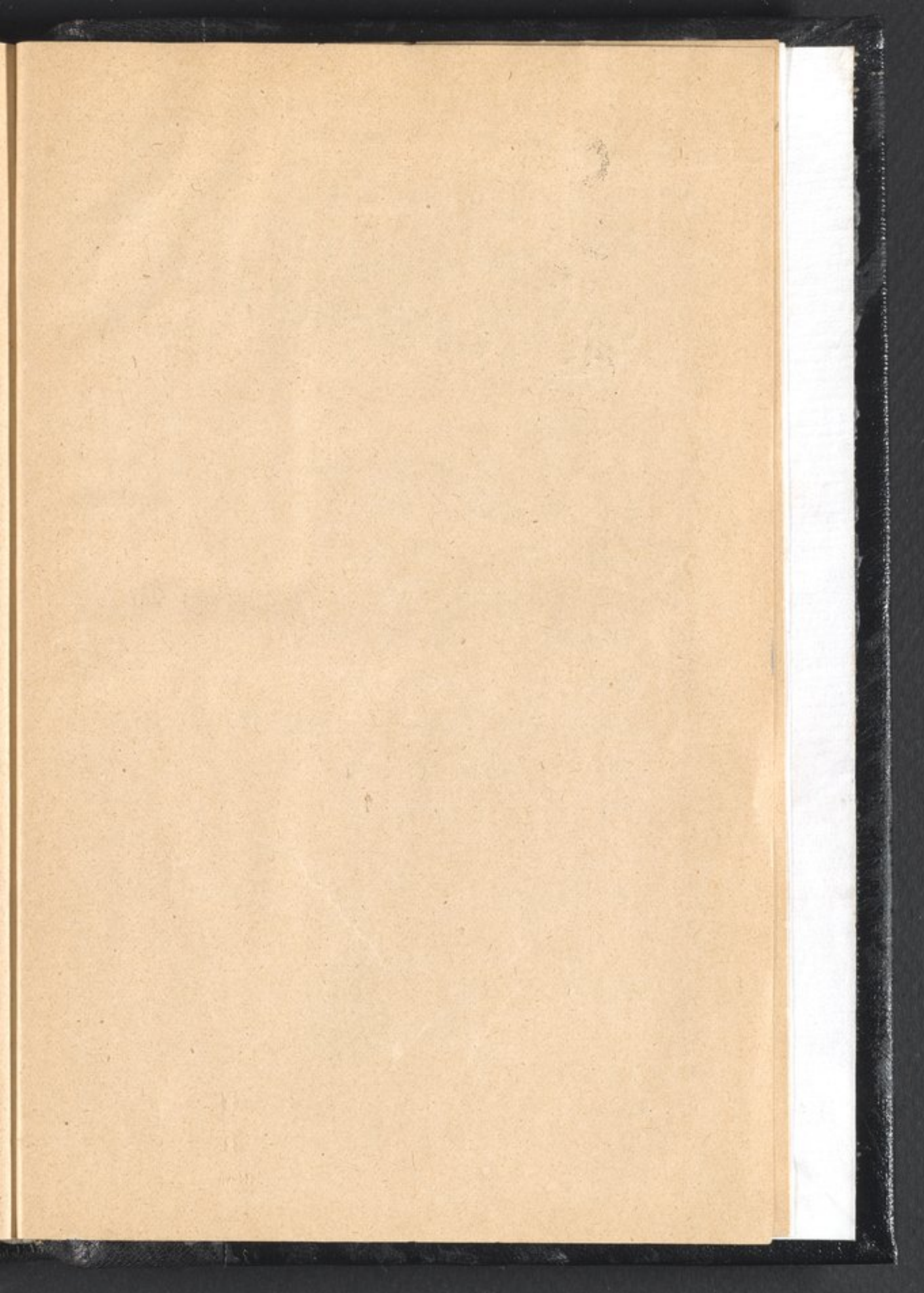
وجنود الرقابة الوند الانطوني

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين وعلى الله صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم
أما بعد فهذه رسالة في التربية الصحيحة فيما يتعلق بالمرء وشأنه الخصوصي
خارج دائرة الدراسة الرسمية والتربية المدرسية ألفها من عدة سنوات
عن خبرة تامة وحكمة عالية جناب العالم الفاضل «جون استيوارت
بلاكى» من اساتذة مدرسة أيدمبرج الجامعة ورجعها الى اللغة الافرنسية
جناب المسيو «ف بيكو» ولما طالعها في هذه اللغة ألفتها مفيدة في بابها
حرية لان تهدي الى ابناء شبيبتنا العصرية لذلك التزمت اخراجها الى
اللسان العربي المين بترتيب لطيف ونص في يسير في بعض مواضع وملاحظات
وتعليقات، حجة مما يناسب حالنا، ومقتضى المقام مقام الجمهور من علمنا،
والله تعالى أسأل أن ينفع بها هنا على هذا الرسم كما نفع بأصلها هناك
على الاصل وهذا جل المبتغى وغاية المتعنى

القاهرة في غرة رمضان المعظم سنة ١٣٢٤ هـ صالح حمدي حماد





المقالة الأولى

(التريية العقلية)

« قر يحسن بنا دائماً ان نستفيد
بعض الشيء من المعارف »
(جوت)

﴿ الفصل الاول ﴾

(الكتب ليست بأول الاعضاد في التثقيف)

ان الكتب حتى عصرنا هذا هي العباد الاول في التعليم
والتثقيف وليس ثم أقل ريب في أنها من اكبر الاعضاد في
التريية والتهذيب وانها بنوع ما مفيدة جداً في مزاولة الفنون
العقلية والجميلة ولكنها ليست على كل حال تلك المصادر الاولى
أى المصادر الطبيعية للتربية وفي رأيي اننا متوسعون في المغالاة
بقيمة فوائدها حتى في ذات فروع التعليم التي قد تظهر انها من اكبر
لوازمها لان الكتب ليست بالقوى « المنشئة » بل هي في الحقيقة
وسائط وادوات اصطناعية اضفناها من عندنا الى ما وهبنا
البارى تعالى من القوى العظيمة فهي كالتلسكوب والميكروسكوب
في انها قد يكشفان لنا ويريانا أوفاً مؤلفة من عجائب صنع الله

تعالى وغرائب مخلوقاته التي كنا نجعلها ولكن هذا النفع لها لا يلزم منه بوجه من الوجوه ان يلجئنا الى ان نحط من اقدار أعيننا الذاتية وبخس بها وهي هي لولا نورها لما كان لنا ثم فائدة من تلك الوسائط . كذلك الكتب ليست هي المصادر الاصلية والينابيع الحقيقية لمعارفنا بل مصدرها الصحيح في الحقيقة هو ذات حياتنا وما يقع لنا فيها من الاختبار والفكر والاحساس والشعور وبالجملة كل أفعالنا واعمالنا الشخصية فاذا ولج الانسان غمار هذه الحياة مزوداً بتلك الامور امكن الكتب حينئذ ان تسد له كثيراً من الحاجات وتصحح له عدداً من الاغلاط وتقوى مالا بد للمرء منه عادة من ضعف بعض الجوانب لكن بدون الاختبار من الحياة نفسها يكون مثل الكتب معنا كمثل الوسمى وضوء الشمس في سقوطهما على الارض البكر التي لم تشقها يد انسان بعد بالحرث والعمل ويقول الشاعر مامعناه «وهل ملف صك الشرف هو ذلك الينبوع المقدس الذي قطرة منه تروى الى الابد ظئنا؟ ان سلطان العلم القوى الحي هو وحده الذي يعرف سر ذلك بما قد يسطع معه من نور الحقيقة كما يلمع الماء صافي الجارى»

هذه فكرة على ما فيها من غضاضة المسحة الشعرية تتضمن
 حقيقة راهنة حقيقة عامة شاملة فان كتاباً في فن « المادان »
 قد لا يعلم مثلاً هذا العلم لمن لم يكن رأى المعادن في عمره ، كذلك
 ليس من سفر في الادب والشعر يمكن ان يستفيد منه ذلك
 الطالب البسيط الصغير الذي لم يعرف بعد ، من هذه الحياة شيئاً
 كذلك لا ينتفع بتلك المقالات في فن « الموسيقى » ذلك الذي
 لم يختبر في عمره فن توقيع الالحان ، كذلك ليس للمصحف فائدة
 ما في تهذيب نفس ذلك الزنديق الذي لا ايمان له من نفسه
 يوزعه ولا طهارة في خلقه وفعاله تردعه . واخلاصة ان كل معرفة
 تصدر عن الكتب تكون كالشيء الذي يأتي بالواسطة أو كالشيء
 المبتذل الذي لا كنه الفكر أو هو بعبارة اخرى كترديد ^{الصدى} الصدى
 للاصوات . أما اذا اردنا المعرفة الصحيحة فينبغي علينا مع ذلك
 ان نأخذها ونقتبسها من اصولها الحية مباشرة أي من أعماق
 فكرنا ذاته وعلى ذلك اقول ان اكتساب المعارف العقلية « المستقل »
 عن الكتب ليس هو اذن وأيم الحق استعارة بسيطة بل هو
 في الحقيقة اجراء تلك التطبيقات العملية والمقارنات الحقة
 الصحيحة بواسطة شعورنا الحي وحواس جسمنا النامي

﴿ الفصل الثاني ﴾

(النظر والتأمل (١))

وأنى لا كلف كل الشبان تكليفاً قوياً أن يبدأوا دراستهم
 « بالنظر مباشرة الى الأشياء » بدل الاقتصار على درس مواضعها
 فقط في الكتب . ولقد الف بعضهم كتاباً سماه « فن النظر
 والتأمل » فهاته الكلمات يمكن ان تكون ضالة حكمتنا المنشودة
 وقاعدة سيرنا في هذا النوع الأولى للتربية الذي مع عظيم
 أهميته فانه بالاسف مهمل جداً عندنا اذ هاهي كل مواضع
 العلوم الطبيعية على الخصوص ذات فائدة جليلة ليس فقط لكي
 نحسوا عقولنا بمواضعها المختلفة الجميلة ولكن لتعلمنا ايضاً احسن
 الفنون الا وهو استعمال اعيننا لانه لا أغرب ولا أعجب مما
 تعودناه من السير مفتحي الاعين ولكن بلا تأمل ولا تدقيق
 نظر في عجائب وبدائع ما تراه . والسبب في ذلك ان العين ككل
 اعضاء جسمنا محتاجة الى التمرين فقصرها على الكتب قد يعطل
 من نشاطها وحدتها وينتهي اخيراً بابطال وظيفتها بالمعنى المقصود

(١) هذا الذي يذكر المؤلف ما رور به بنوع ما عندنا دينياً كما نطق به
 الايات القرآنية كما ان فائدة التعلم بالاختبار الذي سبق في الفصل الاول به عليه
 أيضاً سلفنا اه معرب

بها هنا (قال الله تعالى انها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور) فلنمر التفاتنا اذن الى تلك الدروس الاولى العملية التي تعلم الناشئة كيف تعرف ما تراه وكيف تعمل جهدها لكشف خفاء ما خفي عليها وميادين ذلك الواسعة هي اشياء وحقائق كل من علوم النبات والحيوان والمعدن وطبقات الارض والكيمياء وفن العمارة والرسم والفنون الجميلة اذكم من مرة صعد ويصعد شباننا المتعلمون والمتثقفون بواسطة الكتب في الجبال وتوغلوا بالسياحة والتجوال في البراري ومع ذلك لم يستفيدوا اية فائدة ولم يجنوا كبير نفع علمي وما ذلك الا بسبب ما تعودت الناشئة عندنا عليه من فقدان مباديء « علم النظر والتأمل » وجهلها لفوائده الجلي^(١) واكتفائها بدرس الاشياء بالانكباب على الكتب دون درس حقائقها بالذات وبشت الخصلة

﴿ الفصل الثالث ﴾

(كيف يضبط نظر الاشياء بالترتيب)

النظر في الامور وحقائق الاشياء جيداً وجود منه التأمل

(١) هذا ما يعيب به المؤلف على الناشئة الانكليزية وهي على ما نعلم من النشاط وعظم للتأمل ودقة النظر فكيف يحال نشئنا ام عرب

بالدقة وعن خبرة ، واذ كانت اشياء هذا الكون ومعجائبه المتنوعة كثيرة بل لانهاية لكثرتها وهو ما قد تكل وتعب معه قوة النظر والتأمل فينا ما لم تكن خاضعة لطريقة أو قانون يلم كثرتها ويجمع شتيتها ضمن دائرة تعقلنا وتصورنا فهذا القانون المرشد هو ما اصطلاحنا على تسميته « بالترتيب » وقد اكتشفه العقل البشري واستنبطه لانه ظاهر واضح في جميع هذا الوجود الذي هو مظهر الحكمة الالهية وهذا الناموس يرتكز على قاعدة « الوحدة » الاساسية للخلقة التي جعلها الخالق تعالى أساً لكل اشياء الطبيعية^(٢) وهذه الوحدة قد تظهر لنا في نقط التشابه او التماثل التي تربط الاشياء على اختلافها في الظاهر بعضها ببعض فبمعاونة هذه المشابهات يمكن لعين النبيه الحاذق رد كبير اختلاف الاشياء وتباينها الى عدة فئات كبيرة أو صغيرة، وهاته الفئات التي تسمى « الاجناس » و « الانواع » متى ما خبرها سلطان العقل واستكنه حالها عرف كيف يلم شتيتها ويميز بينها . فأول عمل للناشيء في مثل هذه الحالة من النظر والتأمل انما يكون بالملاحظة والمراقبة بالدقة لنقط التشابه ثم ارداف ذلك بتتبع

(١) مسألة هذه الوحدة في الخلقة قررها فلاسفة الاسلام وذكرها كبار

علماءه من امه معرب

الاختلافات والتباينات الاكثر وضوحا لان هذا الاختلافات قد تصحب حتما تلك المشابهات مصاحبة الظل للنور على انه لاقية في الحقيقة لها الا في الفصل بين جنس و جنس او بين نوع ونوع من جنس واحد . والترتيب . او التبويب المقصود عمله في كل منها هنا انما يراد به الترتيب الطبيعي اما ذلك الترتيب الاصطلاحي كما هو متبع مثلا في ترتيب القواميس اللغوية على حروف المعجم او كما هو الشأن في ترتيب الازهار على طريقة الاستاذ «لينه» (Linnée)^(١) العالم النبائي فذاك كله وان كان قد نحصل منه على بعض الفوائد والمساعدات العظيمة عند ما نتلقى المبادئ والدروس الاولية في دراستنا الا ان الجرى على مقتضاه على الدوام فيه مافيه من خطر التعويق في تحصيل المعارف على حقيقتها .

فيجب على الناشئ من تم ان يأخذ نفسه بالتعود على ربط الاشياء بعضها ببعض بمقتضى ارتباطاتها الطبيعية وهذا المقصد الجليل لا يتم للناشئ الا بمزج ما يحصل له من النظر

(١) رسمت اسماء الاعلام الواردة في هذه الرسالة بالحروف الافرنجية الى جنب رسمها بالحروف العربية ليسهل على عار في اللغات الافرنجية الكشف عليها في معاجم تلك اللغات اذا رغبوا الوقوف على تراجم اصحابها ام معر به

الواسع الاجمالي للاشياء بالملاحظة والمراقبة الدقيقة لخواصها
الخاصة بها . انظر الى التسمية العامية التي تطلق على الازهار
عندنا فهي اوضح مثال للتقريب السطحي دون تكلف ادنى
معاناة للترتيب الصحيح فيها مثال ذلك « الزنبق المائى » فانه
قد يظهر لنا من تسميته العامية انه نوع من انواع الزنبق (الترجس)
اما العالم بالنبات الذى يبحث في اوصاف هذا النبات ودقق النظر
في اعضائه فانه يدخله في مرتبة اوفصياه الفصيلة الخشخاشية «
مبيناً ومبرهنأ لك عن سبب هذا الوضع وسر ذلك الترتيب .
وانى ارى أن خير واسطة لتعود ابناء الشبيبة على الملاحظة
وتدقيق النظر في هذا العصر الذى سهت فيه وسائط الانتقال
والتجول هو ان لا يفعل كل شاب عن زيارة « المتاحف الاحمية »
كل مرة يرى الفرصة سانحة له بذلك ومتى وجد هناك فينبغى عليه
بادى بدء ان يقصر بحثه على شيء واحد مما يجده فيها ومما
يكون من اخص اوصاف البلد واشهر اشياها ثم ينتقل منه الى
غيره تدريجاً لأن الاحاطة بكل ما رآه دفعة واحدة قد يؤدي
بتا الى عدم ادراك شيء منها

﴿ الفصل الرابع ﴾

(التعقل ونجوى الاسباب بالدليل)

بالملاحظة الدقيقة والترتيب الصحيح بيني التعقل ويؤسس
 بنيان معرفته على قرار متين واساس ثابت بواسطة التعقل بالدليل
 لاننا لانرغب فقط ان نعلم ماهية الاشياء كما هي بل « لماذا »
 ولاي غاية او حكمة هي كذلك لانه لما كان يستخلص من الوحدة
 الالهية الاصلية للخلقة من جهة ذلك التناسب والتوافق
 الضروري بين كيفية « كينونة » الاشياء وكيفية نموها وتكاثرها
 ومن جهة اخرى وحدة الصورة التي تبقى وتدوم فيما بين تلك
 الاجناس التي لانهاية لها وهاتيك الانواع التي لاحصر لعددها
 فهذا الظهور والتجلى المضاعف لتلك الوحدة الخلقية الالهية
 نحن مسوقون للبحث والتنقيب عنه بطبيعة الحال لان نفسنا
 البشرية لما كانت مستمدة نورها من نور الخالق تعالى وكانت
 خليفة الله في الارض لذلك وجدت نزاعة طلائعها وكان هم
 العقل البشري المستمد نوره من انوار تلك الحكمة الالهية
 الازلية ان يستكنه اسرار تلك الخليقة ويعمل على معرفة واستيعاب
 ماهية وحدتها وعجيب ارتباطها في صحيفة هذا الوجود ذلك

هو سر اندفاعنا بطبيعة خلقتنا الى بحث تلك الوحدة وذلك
الارتباط وتلك العلائق المتلازمة لجميع ظواهر واشياء هذا العالم
الذي قيل فيه يحق « انه ما وجد الا بالعقل وفي العقل وللعقل^(١) »
وهذه الصفة العقاية التي تزج بالانسان الى طرق باب البحث
عن سلسلة الاشياء والحوادث هي ما يعرف في اصطلاح علماء
النفس « بالسببية » وسبب اي شيء بالمعنى المصطاح عليه عادة
ليس في الواقع الا النقطة التي تليه مباشرة في تتابع الحوادث
وتوالي اسبابها وعللها ولا شبهة انه قليل في بني آدم من يكون
عقله سطحي يكتفي بنظر الحوادث دون معرفة عللها واسبابها
بل بالعكس فاننا نشاهد في كل حين ان الناس يلجئون الى
ايجاد وخلق اي سبب تعاميل الحوادث اذا جهلوا اسبابها الحقيقية
ولا ان يتركوها بلا تعاميل غير ان ما يحذر منه الناشئة في هذه
المسئلة المهمة انما هو اعمال الجهد في تجنب التعود على جعل ما
هو في الحقيقة ليس الا ظرفاً او عارضاً فجائياً سبباً اصلياً
للحوادث ففي الحوادث الطبيعية قد يسهل التعليل ومعرفة

١ قرر مثل هذا فلاسفة المسلمين عن فلاسفة اليونان وتناقش في
ارائهم من هذا القبيل وغيره وتفسيرها ورددها الى الصواب علماء السلف كما يرى
مبسوطاً في الاستفان والكتب الجليلة اه معرب

الاسباب كما نعرف مثلا ان سبب كثرة الامطار على شواطى
بريطانيا الغربية انما هو ناشىء عن وقوعها بالقرب من المحيط
الاطلنטיكى وكما نلاحظ مثلا ان حرارة الهواء في قرية « اوبان »
(Oban) بأوسكتلندة بالنسبة للطقس في « أيد مبرغ »
و « ابردين » انما هو مسبب عن مماسة الهواء الذى يهب
عليها لجرى تيار المياه الحارة التى تصل اليها من خليج المكسيك.
اما في المسائل الادبية والشؤون الاجتماعية فتعليل الحوادث
ومعرفة اسبابها الصحيحة من الدقة والصعوبة بمكان اذ فيه قد
يحصل الغلط الكثير وتقوم السفسطات العظيمة ونحن نرى
ونلاحظ كل يوم امثلة كثيرة لتلك الاوهام والاغلاط التى
متى ما ابتدأت من قضية فاسدة كانت كالنقطة التى ترتكز
عليها وتتسلسل منها تلك الحوادث وتفرع ثم تردف باخرى
موهومة كذلك لا برهان لها ولا دلائل صحيح عليها^(١) مثال
ذلك توهم ذلك « المدافع » عن الامة الذى يزعم ان شقاء هذه البلاد
الانكليزية انما هو حاصل من نوع حكومتها « الملكية » وانها

١ نعرف مقدار ذلك ايضا من تناقض الصحف والجرائد فى العالم
وتشبه الكثير فيها بالمغالطات « وكل حزب بما لديهم فرحون » مما قد تضع مع
أناجيا وهى ضالة الجميع المنشودة اه معرب

لو استبدلت تلك الحكومة بالحكومة «الجمهورية» لتخلصت البلاد من ذلك الشقاء ولشفيت من جميع عللها الاجتماعية كأنها مست «بمجر الشفاء» في خرافات المتقدمين يقول ذلك ويردده مراراً وتكراراً على صور شتى من الاوهام والفسطة ولعمري انها قضية تعد عند ارباب النظر الصحيح من الاباطيل الفاسدة فكل ما بنى عليها من الاقاويل والمزاعم تعدى الاخرى فاسدة لان القاعدة ان كل ما بنى على الفاسد فهو فاسد أيضاً

وانه ليحق لي هنا ان اقول الشيبينتا الراغبة في التعود على النظر الصحيح وارتياض الحقيقة في الادراك والتعقل وتربية الملكة الذهنية انه ينبغي لها ان تأخذ بادىء ذي بدء بتلك النصيحة الذهبية القديمة لافلاطون (Platon) من الانكباب على درس «الرياضيات» مدة ستة أشهر لانها بتفرغها لاستيعاب براهينها العقلية تقوى عندها ملكة التعقل واقامة البراهين المنطقية الصحيحة وهو لعمري الامر الضروري اللازم في تقوية العقل وصحة الادراك كما وانها تزيد بذلك ما ينقصها من الخبرة وتعلم منها التعقل اللازم والنتائج الضرورية اى الارتباطات الصحيحة للسببية. على انى اقول هنا قولاً آخر وهو وان يكن درس

الرياضيات مفيداً بآديء ذي بدء كما قلت غير انه لا يكفي وحده
الناشئة عند رغبتها في تعلم النظر واصابة الادراك الصحيح لان
البرهان الرياضي مؤسس كما لا يخفى على افتراضات وقيود نظرية
متى ما استحضرت في الدهن فهي لا تقبل النقض والخلل فهذا
التمرين ليس اذن وحده بالتمرين الكافي الوافي تماماً لاستيعاب
كبار وعظام انواع الاستنتاجات البشرية ومسائلهاتك المسائل
الصعبة الحل المعقدة الاذئاب والتي لصعوبتها وعجيب تعقيدها
احياناً تكون قابلة للنقض وعرضة لتطرق فساد وخلل النتائج فهي
بذلك قديرة حلها ويصعب شأنها على ارفع العقول واحذق الافهام
خذ مثلاً لذلك تلك الامور السياسية وهاتيك القضايا الادبية
والاجتماعية فهي بلا ريب تدرك وتحل مثل المسائل الرياضية
نفسها ولكن العقدة هنا في دقتها وتشعب اطرافها والخطر والخلل
الذي يطرأ عليها في الحل انما يكون اما من عدم اتمام النظر واعمال
الروية والاسراع بالنتيجة والقاء القول على عواهنه في التفسير
والتأويل . واما ينشأ عن الفرض الشخصي والتعصب الحزبي
والمذهبي فالرجل السياسي المحنك قد يغلط في حل بعض المسائل
بما يؤخذ عليه فيها بالخطاء لا لفساد مبادئ علمه ولا لعدم

صحة نتائجه في حد ذاتها ولكن قد يكون ذلك كذلك اما لجهل
منه بالحوادث واسبابها وتشعب اطرافها واما لتاثره بالاغراض
من مثل مراعاة مصالح حزب او مذهب الى اشباه ذلك

﴿ الفصل الخامس ﴾

(فائدة علم المنطق وما بعد الطبيعة)

انه ليخال لي ان احد الشبان من قراء كتابي هذا يسألني
بما اني قد جعلت لتقوية الادراك والتعقل وتربية الملكة الذهنية
هذه الالهية واحلتها تلك المنزلة السامية باني الا اكلفه بدرس
قواعد « علم المنطق » واصول « علم ما بعد الطبيعة »^(١) فأجيب
نعم اني اكلف الناشئة بذلك على شرط ان تكون أيها النشء
قد حصلت بادىء بدء بالطرق الطبيعية لا بالتعليم المدرسى
وحده على التعمود العام على التفكير والكلام لان الانسان لم
يتعلم المشى على قدميه مثلا الا بوجود هذين العضوين فيه ثم
بتمرينهما منذ الصغر اما اذا اراد ان يعطي مشيته قوة الانتظام

١ هو ذلك العلم الجليل الذي طرقه أسلافنا عن فلاسفة اليونان وهو يشمل
الفلسفة العقلية والالهيات وقد اختزل منه ما يسمونه عندنا بعلم الكلام اهمرب

ويعودها مثل « المشية » العسكرية فعليه حينئذ بطرق ابواب
 ارباب الفن الذين يعرفون من مبادئ ذلك وضروبه المختلفة
 مالا سبيل الى الحصول عليه بواسطة السير العامى . كذلك الحال
 فى « صناعة الفكر » فافتكر اولاً ايها النشء . وأملاً دماغك من
 المواضيع الحرية بالانتكار وإعمال الروية ثم بعد ذلك الجأ الى
 اصحاب فن المنطق^(١) واتمس منهم معرفة كيف تحل المسائل
 وتبنى نتيجها على المقدمات فاذا كان حال النشء . كذلك فلا ريب
 ان تعلم المنطق يكون نافعا له ومفيداً جداً

على انى لا ذكر النشء . بأن الامر هنا أيضاً كما هو فى
 تعلم الرياضات فان علم المنطق مؤسس على أمور وهمية وفروض
 خيالية وانه قاصر على تنسيق الصيغ والصور المختلفة للفكر فلا
 تؤمن انك بدرسك لقضايا هذا العلم المحضه انه يمكنك أن
 تستمد منها غزارة الفكر وجوده الرأى وعظم النباهة لان ذلك
 يكون كالذى يظن ان شجاعة النفس وقوة القلب فى الذود عن

(١) أى لا أجد اصدق فى صحة هذا النظر للمؤلف من حال الشفتين هذا
 الفن فى مدارسنا القديمة فانهم حلوا أذهانهم مما يشير اليه المؤلف تراهم يحسنون
 القواعد المنطقية ولكنهم لضيق الخطيرة الفكرية لا يتزحزون ولا يتطرفون
 بعيداً عند التطبيق مما قرره نفس المؤلفين من الامثلة والشواهد وهذا حالهم فى
 كل فن اخر امر ب

الحياض واقتحام الاحوال في الدفاع عن الاوطان انما هي أمور
تستفاد فقط من تعلم مسك السلاح والضرب بالصارم البتار
كلا ثم كلا . فكما ان الشجاعة النفسانية هي غير المهارة الفنية
في مسك السلاح والضرب بالسيف كذلك التبجر في فن المنطق
لا يجعل تلك النفس المنحطة السخيفة الفكر نفساً عالية سامية
الافكار ولا أن يجعل العقل القاصر المحدود عقلاً واسعاً كثير
النباهة . اذا علمت ذلك بان لك وظهر انه اذا وفق الانسان
الى اكتساب شيء من الخبرة والنظر الصحيح ووهب من قبل
النشاط وذكاء الذؤاد كان ذلك أفضل له وأفيد بكثير من معرفة
جميع الاقيسة المنطقية لان تلك الاقيسة هي في حد ذاتها
غير مفيدة ولا نافعة لelanها وان لم تكن لها قوة الانشاء والاختراع
الفكري فان لها مزية التصحيح والترتيب في بناء النتائج على
المقدمات^(١) فهي من هذه الوجهة لازمة لزوم فن التشريح
لاصحاب فن التصوير من حيث انهم يستعينون به في معرفة
كيفية تركيب اعضاء الجسم وعضلاته لكن ذلك لا يعلمهم البتة
فن التصوير والرسم نفسه . فالمنطق كذلك في اللزوم في كشف

(١) قرر مثل هذا في التعريف بشأن المنطق وثمرته علماءه عندنا امر ب

الاهام ودحض الاغاليط السفسطائية ولكن اذا أحب المرء
التعمق في بحث الحقائق البحتة لزمه حينئذ التنشط والاستقاء
له من تلك التيارات الحية لمجريات الحوادث الدنوية التي قل
أن يلتفت اليها أو يعنى بها في المدارس. بل هناك في ذلك العالم
الواسع العظيم الحى النامى الذى لا تشمله دائرة ضيقة ولا تحيط به
حيطان المعاهد الاثرية ودور العلم العتيقة يلزم للمنطقى أن يأخذ
مادة علمه ويطبق أقيسته ويسفخرج نتائجه من المقدمات^(٢)

أما علم ما بعد الطبيعة فشأنه هو الآخر ليس بأكثر من
ذلك لان لهذا العلم غايتين يرمى اليهما، الاولى انه يجعلنا متعودين
على معرفة الحدود المقررة الثابتة لجميع قوى عقولنا وملاكنا
ويقص من أجنحة تصوراتنا بزجه لنا هنية في بحار النظر
والتأملات التي لا قرار لنهايتها فيرينا بذلك أن هذا الكون
أوسع مما نتصور وان عقولنا وأفكارنا مهما بلغت فانها صغيرة
وحقيرة محاول استكناه شأن هذا الكون، وانى لأخالك تقول
انها نتيجة سلبية أجيب نعم انها كذلك ولكنها الحقيقة بعينها
فمعرفة الحدود هو شرط الحكمة الاول وانه ليجدر بنا أن نسير

(٢) يلمح المؤلف هنا الى مثل ما يشكى منه عندنا كما تقدم اه مربع

على هذه الارض التي تقلنا ونخصنا بقدم ثابتة ولا أن نفتصب
قوى الطير وأجنحتها للتخليق بها في جو الاوهام والاتهنا وضلنا
في ذلك الفج العميق وغرقنا في ذلك البحر الخضم النافر فاه لبيتلنا
أما النتيجة الاخرى والفائدة الثانية لعلم ما بعد الطبيعة
فهي أنا نستكشف منه معرفة تلك الحقائق العظيمة الاصلية التي
يرتكز عليها كل علم آخر ويستند فهو من هذه الوجهة ليس
كالمنطق من حيث انه علم صوري خيالي فقط بل هو بالضد
من ذلك عماده درس الحقيقة الاولى الاصلية وذلك الاصل
الخفي عنا الذي كل ما ظهر في هذا الوجود يحجبه ويستتره كما
قد تحجب الصورة البشرية والهيكل الجثاماني نفس الانسان
ذلك المصدر الذي تتغير الامور وتقلب الحوادث وهو باق^(١)
هناك يلزم أن تصل معرفتنا بعد تخطى عقبات الظواهر الخصوصية
لتلك العلوم الخصوصية لان الامر هنا غير مختص بمثل علم
النبات أو الحيوان أو الفسيولوجيا أو الفلك أو الكيمياء أو
الاثر بولوجيا (علم تاريخ الانسان الطبيعي) ولكنه متعلق

(١) يجدر بالنشر عندنا ان يطالع كتب علم الكلام والعقائد الذي سبقت
الاشارة اليه وقر حقائقه كبار علماء الاسلام مما هو حري لجلب الفائدة التي يرمي
اليها المؤلف هنا اه مررب

بدرس تلك القوى العظيمة وهاته النواميس السامية التي كل فرع من فروع العلوم البشرية ليس الا صورة بل ظاهرة من ظواهرها الخاصة أي ان الشأن هنا يختص بذلك المصدر العام لكل الوجود لان كل موجود في الحقيقة ليس الا نتيجة عمل محكم الصنع دال على عظمة الصانع الاعظم الذي تبدو شواهد اثار ابداعه وعجائب آياته في مخلوقاته لعين كل متأمل ذي لب ينم الفكر وانه لولا تلك الذات العلية الخفية بذاتها الظاهرة بمشآتها ومبدعاتها لكان العالم فضاء لا أفلاك تدور بتقدير العزيز العليم فمن ثم تعلم أن علم ما بعد الطبيعة هو علم معرفة تلك الحكمة السرمدية التي تدير حركة هذا الوجود المطلق على أتم نظام واتقن ترتيب بمقدار ماهي مدركة للعقل الذاتى الانساني المحدود وهو بهذا الاعتبار ومن هذه الوجهة يرادف ما سماه ارسطو (Aristote) من قبل بالعلم الالهى^(١) ولعمري فان الاعتقاد بالله تعالى وبسائر صفاته القديمة الازلية وعظيم صنعه لهذا الكون وبديع تديره له على مقتضى تلك الحكمة الغير المتناهية في الابداع

(١) وقد خاض عباة كبار الفلاسفة واهل الاديان بالمقدار المناسب لما هم بصدد من التعاليم وقد سبقت الاشارة اليه في ملحوظة مضت بالنظر اليها معاشر اهل الاسلام ا ه معرب

والجلال امر يتعرف الينا بذاته وبتضح بنفسه لكل من ينعم
 النظر ويعمن الفكر وهو وأيم الحق القياس العقلي الوحيد الذي
 يمكن أن يجعل هذا الوجود ممكناً معقولا بل هو هو بعينه المبدأ
 الاعتقادي الجزمي الشريف الذي كان لكل أرباب العقول وكبار
 الفلاسفة من « فيثاغورس » (Pythagore) الى « هجيل »
 (Hegel) مفتاح ما أغلق من الآراء السليمة الصحيحة لسر هذا
 الوجود وعلى هذا يكون في درس ما بعد الطبيعة للناشئة في مثل
 اعمارها الزاهية وشبابها الفاضلة جلي لأنها تكون كالحصن
 الحصين تلجأ اليه عند ما تقوم لها شبهات الاكتشافات الطبيعة
 وما تجر اليه من تلك التفسيرات والتأويلات النافسة لأهل
 الزيغ والاحاد من الطبيعيين فتميل بعقول الناشئة أيما ميل نحو
 ظواهر الاشياء ومحسوساتها مما قد حمل البعض على الاعتقاد
 والقول بان العلوم الطبيعية هي مصدر كل معارف الانسان وان
 استنتاجاتها ودالاتها هي المبدأ الفريد بل الحل الوحيد الجليل
 القدر في معرفة هذا الوجود وهذا لعمري ما اسميه انا « الجنون
 بالظواهر » لان الحقائق الاصلية والحوية التي تتعلق بها كل
 العلوم قد تظهر وتحقق من نفسها من جهة غير محتاجة الى التمدليل

ومن جهة اخرى فان العلوم الطبيعية تقتصر على توضيح العلاقات
والارتباطات التي يجعلها امتحان أربابها السطحي بلا حق اسبابا
أصلية عاملة وما مزعوم نوايسهم في الحقيقة الا صور وكيفيات
للحركة أما السبب العامل والمؤثر الفعال بالحقيقة الذي لا يمكنها
معرفة والاقرار به الا اذا نقضت ما بنت وخرجت من تلك
الدائرة الضيقة فهو هو تلك القدرة العظيمة الالهية المطلقة للصانع
العظيم الابداع والتدبير الذي له في كل شيء آية بينة وسر جليل
تعالى الله الذي اتقن كل شيء خلقه وكرم الانسان وفضله
وعلمه ما لم يعلم وامده بنور عقله وجعله خليفته في أرضه فهذه
النعم المتواصلة منه تعالى يجب علينا وفاء لشكرها وأداء لحقه
تعالى فيها القيام بحق معرفته وتأدية واجب عبادته وتمجيده .
ولما كان تعلم ما بعد الطبيعة أو العلم الالهى من الاصول وقد
يمكن درسه في المدارس ويسهل الا أن استكناه حقيقته بالحقيقة
واستيعاب لذته وحلاوته لا يكون الا بالاختبار والعمل عند
بلوغ سن الرشد والرجولية فهناك هناك يعلم الانسان كما علم
اولئك الفلاسفة وكبار الحكماء من قبل ان لا راحة في هذه
الدنيا الا بأقامة الدين وحسن اليقين. بل هناك هناك يجد المرء

الهناء التام واللذة والسعادة السرمدية كما يجدها الطفل الصغير
بين أحضان أمه الحنونة (بل الله تعالى كما جاء في الحديث
الشريف احن واشفق من الوالدة على ولدها) .

﴿ الفصل السادس ﴾

(التخيل والتصور وثمرتهما)

ان القوة او الملكة التي تلي قوة التعقل التي آتينا عليها آنفا
في وجوب العناية بها ولزوم تقويتها عند قصد التربية هي قوة
« التخيل أو التصور » واني اخشى ان يكون جماعة الاساتيد
والتلاميذ معاً غير مقتنعين تماماً من فائدة وجوب تقوية هذه
الملكة حتى لقد تطرف البعض منهم الى احتقارها والازدراء
بشأنها اعتقاداً منهم أنها القوة النفسية التي علائقها بالاهام
والخيالات اكثر منها بالحقائق الواقعية فمن ثم كانت على رأيهم
عديمة الجدوي لذلك النشء المجتهد الذي يتعطش لمعرفة الحقائق
ويتلهف على اكتسابها والحصول عليها اينما كانت وحيثما وجدت
لكن بالحقيقة فان كل الناس لا يجهلون ان الخيال هو الذي اثار
في أدمغة كبار العلماء والمخترعين أصول اختراعاتهم والفيلسوف

«جوت» (Gothe) في قصته فيما عمل من ملاحظاته الشهيرة في علم النبات وفن التشريح أظهر برهان وخير مثال لذلك وفي الحقيقة فان التخيل ليس هو عدو للعلم ولا نقيضا له الا اذا عمل بلا عقل ولا علم أى بلا قيد ولا قاعدة اخرى سوى الغرض والهوى والجهل اما مع العقل وما حوى فهو أحسن وألزم ما يكون من اللوازم والاعضاد. على انه زيادة على ذلك فانه في فن التاريخ وغيره من الامور الاخبارية والشؤون الواقعية لازم أيضاً لزومه في الشعر ونحوه مما يركب فيه متن الخيال المحض لان المؤرخ واضرا به من الاخباريين وان كان في الحقيقة لا يمكنه ان يمتنع الحوادث ولكنه مضطر لاستعمال الخيال عند تنسيق الحوادث وترتيبها وتثبيتها على مقتضى تلك النسب التوافقية فهذه هي فائدة الخيال ولزومه في فن التاريخ ونحوه. ثم ان من الاعضاد لتقوية هذه الملكة النفسانية في الانسان مطالعة الحكايات الخرافية والقصص الموهومة الوصفية انما على كل حال يلزم الحذر واستعمال الحكمة والتؤدة في تحصيل هذه الملكة الخيالية التصورية واكتسابها من تلك المصادر اذ مع كل يلزم تطبيق هذه الملكة على الحقيقة واستفادتها منها بالاكثر عند

ارادة استعمالها وتحصيلها وهذا النهج هو ما انصح ابناء الشبيبة على تحريه عند ارادة التمرن والتدرب على مزاولة هذه الملكة الخيالية واستخدامها وهنا اقول ان الامر ليس يحتاج فيه الى التشبث والتعلق كل التعلق بمطالعة تلك الروايات الخيالية الموضوعه لكي نحصل بواسطتها على معرفة هذا الوصف الشائق وذلك التنسيق الخيالي مما قد يعجب ويغرب ويربي فينا قوة التصور وملكة الخيال بل يكفي في هذا الباب ان نطالع تاريخ مثل «الاسكندر المقدوني» وسيرة «الوثيروس» Luther «وغستاف اودلف» (Gustave-Odolphe) الى اشياء ذلك من تراجم مشاهير العصور ونوابغ ابناء الزمان ممن قد زينوا كتب التاريخ واحياوا معالمه بمجيد سيرهم واخبار اعمالهم وما آثرهم الفراء^(١) فان لهذا في تربية الناشئة فضلا عظيما قد يمتاز ويفضل كثيرا احسن واجمل ما كتب من الروايات الخيالية المحضه بل وربما يفضل اجود ما قيل من الشعر ايضا إذ ان كل العقول قد لا تميل

١ اراني لست في حجة الى التنبيه والتنويه بمجيد تاريخنا الاسلامي وجيل اعمال رجاله الاول فسيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم فيها مما يجمع بين ما قصد المؤلف هنا من محاسن الاعمال والصفات وسير الخلفاء بمدته وتراجم الكثرين غيرهم من فحول العصور الاسلامية الماضية كلها طائفة بالفوائد والتفاسد ام معرب

بدرجة واحدة الى محبة الشعر ولكنها كلها قد تتأثر تأثراً عظيماً
شريفاً من الحوادث التي تكون محلاً للاعتبار أو مظهراً للاعظام
والاكبار فطالعة التراجم والسير العظيمة الجليلة فيه فرصة ثمينة
لتدريبنا على قوة التخيل والتصور وتكون الاستفادة منه مع
ذلك مزدوجة لانا نعلم منها في آن واحد ما حصل من الحوادث
والامور العظام ثم ما كان يجب ان يعمل فيها بالجرح والتعديل
والانتقاد بواسطة تخيلنا مسترشدين فيه بالعقل . على انك اذا
رغبت تقوية هذه الملكة الخيالية فيك على احسن حال واكمل
صورة فقد لا يكفي ان تعرض ونمرد بالسرعة امام مخيلتك
هذه الصور الجميلة الجليلة للحوادث فقط اذلا ينتظر ان تحصل
بهذه الطريقة النير الكافية وحدها على تلك القوة الصحيحة للتخيل
والتصور بل الواجب على مخيلة ذلك التلميذ النبیه انما هو ان
تأخذ بقوة وتحفظ تلك التخيلات والتصورات الصحيحة التي
تمر بها من وراء ما تطالع وتستفيد وان لا يرتاح صاحبها عند
ما يراها لا تؤدي له غير الذكرى التافهة العقيمة بل يجب ان
يشحنها ويجعلها من القوة دائماً بحيث انها يمكنها ان تأتي
بالحوادث التاريخية مسرودة امامها على غاية ما يكون من الصحة

مع الاوصاف المميزة وما يلزم ان يلحقها من الخيالات الحقة
والتعبيرات الجميلة التي يصوغها في قلوبها فكما انه يوجد أناس
يمشون على الارض مفتحي الالباب ولكن لا يبصرون كذلك يوجد
آدميون آخرون يقرأون ماشئت من كتب جليلة مملوءة بالاشياء
المفيدة ولكنهم مع ذلك لا يجنون من نصب القراءة وتعب
المطالعة شيئاً ما من تلك الاوصاف الشائقة التي تراها مدونة
في كتب التاريخ ونحوها مما ساعة واحدة من المطالعة الحقة فيها
تكفي لان ينطبع قسم منها في العقل ويرتسم بما يجعلنا قويا ولا
يعترينا مع ذلك تعب ولا نصب ولا اعياء بلا جدوي كما هو
الشأن في المطالعة بلا روية ولا تدقيق فاذا طالعت أيها النشء
باباً أو فصلاً من بعض تلك الاسفار الجيدة فلا تشغل نفسك
ولا تسألها عما رأيت من جودة طبعه أو رداثة ورقه ولكن سألها
عما حفظت واستوعبت من مهمات مواضعه واكسبتك اياه
من تلك الصور والخيالات الحية الشائقة لنضمها على ما وسعت
وحفظت مخيلتك من قبل من التصورات وجميل الخيالات وعليه
فيجب ان تكون هذه الملكة فيك أيها الشاب دائماً يقظة حية
ذات نشاط وقوة وأعلم انك ما علمت بحادثة ولا وعيت أمراً

إذا عرفت فقط أنه حصل بل أنك تعيه ويحسن علمك به إذا تأملته بالدقة وعلقت صورته ورسمتها في مخيلتك كما مرت تماماً

﴿ الفصل السابع ﴾

(تربية الاذواق السليمة والاحساسات الاستحسانية)

ان لفظة التصور أو التخيل وان كانت لتدل على تلك القوة النفسانية التي يظهر ان كل العقول تشترك فيها بنوع ما غير انها تتعلق على الخصوص بتلك الطائفة من الاحساسات والعواطف النفسانية التي لفقدان التسمية الاصطلاحية الخصوصية لها اعتدنا ان نسميها « الاحساسات الاستحسانية » فقد يوجد من الناس من يعيش عيشة حسنة بدون ان يكون عنده كثير من التخيل والتصور فهو لاء مثلهم كمثل الدور التي قد تكون جيدة البنيان بالنظر لحجب الشمس والوقاية من المطر وجودة النور ايضاً ولكنها مع ذلك قد تكون قبيحة المنظر فمن منا يكون في وسعه ان يسكن داراً جميلة فيستحسن أو يفضل عليها في السكنى داراً قبيحة المنظر فلعمرى ان محبة الجمال واستحسانه هو الغذاء الطبيعي للذوق السليم في التخيل والتصور وهو الغرض الوحيد لكل من

يريد ان يستكنه سر وجودنا وغايته وأنى أعنى بذلك انا يجب علينا ان نستخرج من أنفسنا ونستعمل احسن ما فيها^(١) فاذا كان من الحقائق الراهنة ما قدمناه آنفاً من أن الانسان لا يرقى قط من الكتب وحدها فهنا نقول أيضاً انه لا يتربى كذلك من مطلق اكتساب المعارف كيفما كانت على انه ربما يعترض علينا بقول أحد علمائنا من أصحاب الآراء السامية حيث قال «التحصيل على الدوام جيد» لكن ليعلم أنه لم يقصد بذلك مجرد التحصيل البسيط الذي لا ترتيب ولا نظام ولا اختيار فيه انه هو الجيد بل انه يرى ان من تمام العقل ان يحصل المرء بشوق وعزيمة على كل ما يصل اليه من المعارف للانتفاع بها عند الحاجة وللانتقاء منها ولو لم تكن كلها من محاسن المعارف لان هذه ليست على الدوام كما لا يخفى تحت امرتنا اذ رديتها الذي قد نعثر به عادة فذاك أيضاً له حظه من الفائدة التي يمكن ان نجنبها منه بحال مرورنا عليه مراراً إنما اعظم الغاية التي ينبغي على الشاب قصدها وتوخاها بالدقة في التحصيل ليست المعرفة على العموم وتحصيل

١ مسألة تربية الاذواق السليمة على نحو ما يشير اليه المؤلف واختيار محاسن الامور ومحبة الجمال (وفي الحديث ان الله جميل ومحبة الجمال) كلها مما نوه به أيضاً العلماء والحكماء عندنا هم معرب

أي كان منها بل هي تتحصر بالذات في معرفة كل ما هو عظيم
وجميل وحسن وهذه الغاية التي تمثل التخيل والتصوير في اجمل
مظاهره لا نحصل عليها الا ببذل العناية والجهد لاكتساب
تلك الامور الذوقية وتربية الاحساسات الاستحسانية وبعبارة
أخرى ان كلا من الشعر والتصوير والموسيقى وبالجملة سائر الفنون
الجميلة التي هي من اكبر وسائل ذلك لما تمتاز به من تبيان واطهار
كل ما هو جميل وعظيم بما قد تؤثر به علي النفوس من اشياؤها
ومناظرها المختلفة هي لهذا ليست من التحليات الكمالية بل هي
في الواقع من اعطر ما يكون من الازهار لتلك النفوس المترية
المتقفة فالرجل الذي ليس له سوى قوة الساعد وحادثة البصر
يعمل العجائب في اداء مهمته في حياته الدنيوية ولكنه قد يكون
مع ذلك فاقداً للظرف والكياسة عرضة للخشونة والفظاظة بل
واشراسة الطبع الى اشباه ذلك من ذميم الاخلاق وقبيح الفعال
المستهجنة فلو هذبت طباعه وثققت قواه وعواطفه منذ صغر
السن وحادثة العهد بواسطة التربية الاستحسانية الذوقية لكانت
تلاشت تلك الاخلاق الذميمة منه بل ولما وجدت الى نفسه سبيلا
ولحصل من ذلك نفع ليس بالقليل للهيئة الاجتماعية فضلا عن

الفائدة الجلي لذات الشخص وجودة اذواقه .

فليبدأ الشاب إذا بان يمد قوة تخيله ومملكة تصوره بماهي
 في افتقار اليه من تلك المادة الطبيعية الضرورية الا وهي درس
 الاشياء الجميلة من كل جنس ونوع فاذا علم بعمارة أثرية أو ذات
 جمال في دقة الصناعة قريبة منه فليدعى الى مشاهدتها وتأملها
 واذا فتح معرض للصور في بلده فلينتهز الفرصة لرؤيته وتأمل
 جميل معروضاته كذا أماكن العاب الخيول (سيرك) مما تظهر
 فيه المهارة الانسانية والرشاقة والحدق في تعليم الحيوان الاعجم
 غير محقر ذلك ولا عاداً اياه من مسليات الاطفال وملاهيهم الى
 اشباه ذلك من مثل حضور حفلات الموسيقى والاعاني الادبية
 الكمالية المطربة وجملة القول أنه يلزم الشاب الراغب في التعليم
 الصحيح ان يعتنى ايما اعتناء بكل ما من شأنه ان يظهر ويشير
 تعجبنا وابتهاج نفوسنا لانه بتعجبنا وسرور نفوسنا مما هو جميل
 أو عظيم تقرب قليلا من ماهية ذلك التعجب فينا . أما ذلك
 الرجل الذي يبخل ويضمن بتعجبه واعجابه واندهاشه مما هو مملوء
 منه هذا الكون العظيم من العجائب والغرائب فهو قد لا يدل
 بهذا على خلو هذا العالم مما يعجب ويغرب ويسبي العقول بل

هو لا يدل به الا على ضيق عواطفه نفسه وقلة شعوره بل وضعف قواد الادبية . ثم أنك إذا اردت أيها النشء الكريم ان تربي نفسك التربية الاستحسانية الذوقية بدون خروج عن المنهاج الطبيعي الحقيق بها فأحترس من ان تبدأ فيها بالانتقاد وممارسة مغزى هذه العبارة العقيمة «لا تعجب من شيء» فان هذا المثل أو هذه الحكمة المقلوبة السهلة اللوك على السنة ضعفاء الادب والعلم الصحيح والقوى الادبية الرجيحة لا تغتفر على السنة الشبان المهديين في مثل أعمارهم الحديثة وسنى آمالهم الواسعة في المستقبل الزاهر فلا تنتظرن شيئاً حسناً من ذلك الذي لم يعمل عملاً ما بنفسه ومع ذلك فهو يصدر نفسه لكشف اغلاط غيره مسمياً تلك الخلة الغير الحميدة في كل الاحوال انتقاداً فليعلم الاشياء من كان هذا شأنه وليعمل على استكناه حقائقها اولاً ثم يعطف بعد ذلك على النظر الى مساويها ومعائبها إذ كل انتقاد جدير بان يسمى بهذا الاسم إنما هو اشهي ثمر العقل الذكي والاختبار الطويل لا ما يصدر عن الاندفاع بلا روية ولا حكمة في هذا السبيل كما أنه قد لا يصح مثلاً إلا لذلك العسكري القديم ان يقول قوله بالنقد والتجريح في الوقائع الحربية أما ابناء الشيبية

فهم وان كان لهم بالتحقيق آراؤهم وأقوالهم الانتقادية لكن
 ينبغي ان يكون أمرهم فيها قاصراً على القدر اللازم لهم في تربيتهم
 وتهذيب وتدريب نفوسهم من غير مآداع للاندفاع فيها لدرجة
 الازاعة على رؤوس الاشهاد ونشرها في الصحف على عواهنها
 لان الحكم في الامور ان لم يكن معززا بالاختبار الطويل مؤيداً
 بالتجارب الصحيحة فلا نشر له على العموم لانه لا يكون منه
 غير تضليل الرأي العلم والتشويش على جماعة القراء (١)

قلت أن الجمال في الطبيعة هو الغذاء الطبيعي السليم لتنمية
 القوى الذوقية والاحساسات الاستحسانية من نفوسنا وأقول
 هنا ان الروايات المضحكة التمثيلية والفكاهات والملح المبهجة
 الكتابية لها هي الأخرى جانب من النفع والفائدة ولكنه يعد
 في الدرجة الثانية ومن الاغلاط الكبيرة في الواقع ان لانعلم ان
 نسر ونبتهج إذ السرور والابتهاج هما على الخصوص خير واسطة
 حسنة ووسيلة جميلة لطرد وازاحة ما هو ردي. ومزعج لدى
 نفوسنا وهما أبعد مما يظن من أنهما يجيباننا في مداومة الهزل

(١) حرى بانبا الشيبية المصرية الذين يندفعون ان لعباً وان لايات حقة في الكتابة
 على العموم في شؤون قد تفيد الرأي العام أو تتعلق بالصحة العمومية إن يتمنوا
 هذا النصح الكريم لمؤلف خبير بشؤون التربية علم بطباع العمران اه معرب

والهزيان مادام الامر فيهما بالمقدار المناسب لاغير . على أننا
 لنعلم جميعاً مع هذا ان الحياة شغل شاغل بل مهمة هامة جداً
 فقير منتظر بطبيعة الحال ان يعتقد في مداومة الهزل وابتهاج
 النفوس بالمسار انه مما يعطى أحداً العظمة أو ينيل الفخر أو الخير
 فلا ابتهاج والنشاط الروحي أذن باعلى ما يكون من صورته واكبر
 ما يكون من شأنه على نحو ما كان عليه فيه الفيلسوف
 «ارسطوفانوس» (Aristophane) مثلاً قد لا يجوز لنا استعماله
 بل قد لا ينعف نفوسنا الا بمقدار ما تنفع تلك «التوابل» التي
 ندخلها في الطعام قاصدين بها فتح الشهية وجلب تلك اللذة في
 الاطعمة فهل يصح لنا ان نصنع طعامنا كله من تلك التوابل
 فقط ؟ كلا ثم كلا^(١)

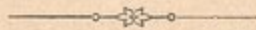
فليكن دماغ الشاب الراغب في التربية الصحيحة أذن
 مملوءاً ومزداناً بكل ماهو «جميل» على نحو ما زين «ثروالدسن»
 (Thorwaldsen) المصور الدانمركي الشهير متحفه به في كوبنهاج
 من كل تلك الصور والرسوم الجميلة متدرجاً فيها من صورة

(١) ليسم هذا واضرايه من أقوال المؤلف الحكيمه الجدلثة شباننا الذين لا
 يريدون الا ان يحملوا حياتهم كلها مزاحاً وهزلاً وتكيتاً سمجاً اه معرب

المسيح عليه السلام الساذجة اللطيفة الى تلك التماثيل الفاخرة
 المزخرفة للمعبودات اليونانية القديمة . ثم لا يجعان الشاب كثرة
 الضحك والمزاح من العادات المستحكمة فيه ويتجنب كلما يفسد
 عليه حاله ب مداومة رؤية الاشياء من جانب ما فيها من هزء وسخرية
 لانه ليس من علامة صحيحة تدل على « خفة العقل » والطيش
 والنذق وعدم تربية النفس سوى الميل ومحبة مشاركة الاشياء
 كلها من جانب ما فيها من مضحك ومهزىء دون مراعاة ما
 في طيها من عبرة ونفع وحكمة ^(١) لان ذلك الجانب على ما
 لاحظ به ارسطاطاليس (Aristote) الفيلسوف هو دائماً اول
 ما يرى ويشاهد في الامور والاشياء . فالقصص المضحكة
 والروايات والكتابات الوصفية الشائعة التي هي خاصة بلادنا
 الاوربية وعصورتنا الحالية هي في الجملة حسنة ومفيدة ولكن
 بالقدر الوسط الذي اشرنا اليه سابقاً وبشرط أخذها لتيسلة
 النفس مع الاعتبار وتأمل ما فيها من العظات وبدائع الحكم فتكون

(١) ما أغلى هذه النصيحة وأولانا بها خصوصاً بالنسبة الى شبان المدن
 والخواضر المصرية الذين لا يرون الاشياء كلها غالباً الا من هذا الجانب تحت اسم
 « الظرف واللفظ » وما هو في الحقيقة إلا دلالة علي ماسماه المؤلف بخفة العقل
 وقلة المادة الادبية في النفوس ام معرب

بذلك على مثال ما نستفيد من مشاهدة تمثيل الروايات التشخيصية
 المضحكة أما ممارسة الغنون الجميلة فهي قد توجد في الطالب
 الراغب المجتهد تسليية أسلم عاقبة واجزل فائدة من كبير مدارس
 مسائل الحياة البشرية الموهومة المخترعة في مثل تلك الروايات من
 حيث ما تحشي به من مصائب أو رذائل مخترعة معدية للنفوس
 الساقطة والعقول الخفيفة فتوقع لحن سار على البيان أو سبك فكاهة
 حكيمية من الحكم القديمة في قالب شعري عصري فأمثال هذه
 الامور واشباهها الكثيرة كل هذا مما يرطب العقل ويلين الفؤاد
 ويجزل سرور النفوس ويريحها من متاعب مداومة مدارس
 العلوم الجديدة . وهذه التسليية هي عندي أفضل وأنفع بكثير
 من مطالعة تلك الكتب الخطرة المسماة بالقصص والحكايات
 المسلية (يقصد بالطبع رديئها) على ان أمثال تلك المطالعات الرديئة
 ما وجدت إلا لساعات الفراغ الطويلة وهذه في الحقيقة ما
 كانت إلا « للكسالى والفارغين »



﴿ الفصل الثامن ﴾

(تربية الذاكرة وتقوية الحافظة)

ها نحن قد وصلنا في هذا الفصل الى القوة أو الملكة الثالثة للنفس التي لا يجوز ان تغفل بدون عناية خصوصية واعنى بها القوة المذكورة أو الذاكرة لانه ما الفائدة من تحصيل ثمين كنوز المعارف واركامها دون ان نعرف كيف نحفظها ونصونها في نفوسنا لكن لحسن الحظ فان الذاكرة هي من بين قوى نفوسنا تلك القوة التي قد يسهل تقويتها بواسطة التمرين والتدريب ثم زيادة على ذلك فان هناك وسائل تعين على تقوية ما ضعف من الذاكرة والحافظة في حين انه قد لا يوجد لنا عند ارادة تقوية ملكة التخيل الانفة الذكر بل ولا ما سلفها هي الاخرى من ملكة التعقل والبراعة المنطقية وسائل تضارع وسائل تقوية الذاكرة وهالك هي أهم الشروط والتجارب الاصلية التي توجب تحقيق حفظ الاشياء والحوادث متى ما نقشت وارتسمت مرة على صفحات رؤسنا بواسطة التعقل والتصور

الاول - قوة وشدة التأثير والانطباع الاصلى اذ لا أمل

للإنسان في أن يتذكر ما لم يعلمه إلا بالتراخي والثواني وقلة
 الاعتناء فكل جهل المعلومات المهمة الضعيفة التي تدخل إلى
 العقل مختلطة تزول وتمحى منه بالسرعة حتى لا تعود تظهر له
 إلا ضباباً كثيفاً قد يحجب ما ورائه ولا يظهر منه شيء جلي فاحسن
 ما يكون لتقوية الذاكرة التعلق والاشتغال بفكر واحد بقوة من
 حوادث أو فروع معلومات أحد المواضيع الواسعة الأطراف
 ولا إرهاق النفس وإرباك الفكر بالاشتغال بالمجموع منها دفعة
 واحدة مما يتعب ويبلبك أفكارنا

الثاني - لاشيء يقوى الذاكرة ويساعدها أحسن من
 مراعاة الترتيب فإن الفئات أو الأصول الكبيرة هي بالطبع
 دائماً أقل عدداً من فروع وأفراد الأشياء فإذا عرفنا تلك
 الأصول فقد عرفنا بالأجمال الأوصاف الأصلية للأفراد
 ونكون بذلك قد حملنا الذاكرة حملاً خفيفاً تطيق على كل حال
 تحمل وقره

الثالث - ليس في الحفظ أهم من التكرير فالمسار الذي
 ندق عليه إن لم يكف لأمساكه بالخائط دقة واحدة يجب علينا
 إن ندق عليه مرة ثانية وثالثة وهكذا حتى يمسك ويثبت وبطريقة

التكرير لا يصعب علينا حفظ شيء ما فاذا وجدت مثلاً ذاكرتك
عسر عليها حفظ كلمة « ديفا » (Deva) ومعناها الله في اللغة
السنسكريتية فدأب على تكريرها سبع مرات في اليوم أو في
الاسبوع مثلاً فانك بذلك قد تعود لا تنساها مطلقاً وهكذا.
وكما كانت الذاكرة بطبعها مستعصية كلما وجب ان نساعدتها
بواسطة تكرار ما نروم حفظه حتى تنطبع وترسم فيها المحفوظات
لان قواها هي كالحيو ان البليد الذي يلزم له من حين الى حين
سوط العقل يسوقه دائماً الى الامام .

الرابع - اذا كانت ذاكرتك من طبعها ضعيفة وقوة
الفكر المنطقية فيك قوية فهاته القوة متى ما استعملت بعقل
امكن ان تحول ما ظهر من ضعف ذاكرتك الى تقدم صحيح .
أما من كان لديه سرعة الذاكرة وقوتها فليحذر من أن يفتر
بذلك متهاوناً فرحاً بالثناء والاطراء عليه مكتفياً بان يكون له
حذاقة البيغاء فقط اذ الانسان الكامل ولو لم يكن له مثل هذه
الموهبة لدرجة ان لا يتذكر غير الامور التي يكون بصددتها
في الوقت يكون من ديدنه غالباً التنقيب في طيات الامور
وتسلسلها وما يظهر فيها من تتابع الروابط المقصود مما قد لا يفهمه .

عقله وينبو عن تحقيق ادراكه لاول مرة ففكرة فيكون له من ذلك مندوحة للربط بينها بواسطة القياسات والاستنتاجات المنطقية العقلية .

الخامس — يوجد وسائل وامور اصطناعية قد لا تكون في الجملة غير مفيدة فيما نحن بصدده كأن يجعل التلميذ يتذكر أن مدينة « آيدوس » (Abydos) القديمة واقعة على الشاطئ الاسيوي من الدردنيل بمجرد ما يجعله يتذكر ان لفظه آيدوس وكلمة آسيا تتدعى كل منهما بحرف الهمز . لكن عندي ان هذه الوسيلة و امثالها من الوسائل الاصطناعية غير مستحسنة أو هي من قبيل الشعوذة الخليقة بضعف بعض عجائز المعلمات غير الماهرات ولا تليق باصول تلك التربية الصحيحة تربية الشبان التي يتبعها كبار الاساتيد والمعلمين اذ اني ليس لي كبير ثقة فيما ينتهج من الطريقة التي يسمونها « فن تسهيل الذكر » لانها طريقة قد تملأ العقل بجملة من العصور الغرضية المقتضبة التي لا فائدة فيها سوى العبث والتضليل و عرقلة السير الطبيعي لقوى النفس فالوقائع التاريخية التي يستعملون فيها على العموم هذه الطريقة المعقدة قد ترسم وتنقش بالسهولة في الذاكرة

بواسطة الارتباط بمناسبة الاسباب وايضاً بواسطة القرب
 الواقع بين اسماء الاعلام الشهيرة من بعضها عند المدارس الخبير
 للتاريخ بالتتابع فلقد يمكني مثلاً أن اذكر ان افلاطون الحكيم
 كان له من العمر تسع وعشرون سنة حينما شرب سقراط
 الفيلسوف السم الزعاف كما قد يسهل على كذلك ان اذكر ان
 ارسطو الشهير تلميذ افلاطون كان هو ذاته معلم الاسكندر
 الكبير عند ما وقف هذا الملك العظيم على ضفاف نهر الهند في
 وسط جيوشه المظاهرة مازجا في كلامه وخطابه لاهل الهند بين
 لهجة الاناشيد البرهمية المقدسة وتلك اللهجة الحكيمية الفلسفية
 التي كانت لسقراط وافلاطون .

السادس — واخيراً انه مهما يكن من سهولة ذاكرتك
 فلا تحتقرن ولا تهملن تلك المساعدة والمعونة السهلة التي قد
 تأتيك من كتابة وتقييم المفكرات والتعليقات والملاحظات
 نعم ان التعود على التكلم والخطابة بمساعدة المدون في الورق
 والمسطر في القرطاس هو أبعد من أن يقوى الذاكرة بل ربما
 إن ذلك كان داعية ضعفها ولكنك اذا جمعت على هيئة مذكرات
 خطية أو مطبوعة جملة من المسائل النفيسة والمواد العلمية

المهمة استحضاراً أو ادخاراً لوقت الحاجة إليها تكون بذلك كالجامع
لكنز ثمين من المعارف بحسب ما تراه وتختاره انت قد ينفعك
وقت احتياجك اليه وعوزك له واقول بهذه المناسبة ان التلميذ
لا يلزمه أن يتسرع في نسخ بعض الكتب المدرسية أو يعمل
له بها جدولاً أو فهرساً لاخر منها ولا أن يرتب معارفه وعلومه
بواسطة تكلف اصطناع جداول وبيانات ينشئها ويحررها لها
تكون من خاصيتها ان تسهل عليه العمل والتحصيل في زعمه
انما الواجب عليه أن يقيّد فقط لطائف ما يسمعه في خطب
واقوال اساتذته المدرسية الغزيرة المادة الكثيرة الفائدة كما
لا يفوته كتابة شوارد نفائس كلما يسمعه أو يطلع عليه من
محاسن اللطائف القولية وعجائب الامور الكونية وغرائب
الحوادث البشرية وجلائل المعلومات النفيسة التي تجبل بها الايام
وتمخض بها الاقلام والافهام وتنطق بها الالسن البليغة مما
قد يكون ذا نفع وفوائد لا تقدر في التربية . فهذه الوسائل
يتقوى التلميذ ولو كان ضعيف الذاكرة بطيء الحافظة ويعرف
كيف يستخرج من كنزه هذا مما يكون قد قيده فيه بين
قديم وحديث فينتفع به عند التطبيق العملي واقامة البراهين

والحجج القوية لاقواله وكتابه وخطاباته المدرسية التي هي
على العموم مفتقرة الى مثل ذلك ايما افتقار تخلوها منه غالباً
أما واثق الطلبة المخصصون لدرس السياسة والمرشجون لاعتلاء
منصاتها فن كبير مصلحتهم كذلك ان يقيدوا على الخصوص
تعليقاتهم ومفكراتهم على كتاب السياسة لارسطو اذ هم بذلك
قد يدرون عن أنفسهم ويجعلونها بئامن من صلابات الفكر
ونقصان النظر الذين قد يتعرض لهما عند ما لا يدرس التلميذ
عملياً غير المسائل العمومية القاصرة على كل ما هو حديث
منها وجديد .

﴿ الفصل التاسع ﴾

(الفصاحة والبلاغة في الانشاء والخطابة)

ان من اهم النقط التي يجب الالتفات اليها والعناية بها وهي
في الغالب مهمة بحسب المقصود منها هنا في التربية المدرسية
عندنا القديمة منها والحديثة هي تحلية التعبير عما في الجنان بالعبارات
المهذبة الرشيقة والاقوال المتينة لفظاً ومعنى وبهذه المناسبة اقدم

بعض ملحوظات على الانشاء والكلام العمومي فأقول : لما كان
الانسان بطبعه حيوانا ناطقا فالانشاء الجيد الجليل ما هو الا
فن الكلام واصلا به الى درجة الارتقاء والجزالة بواسطة التمرين
والتحسين لتلك القوة النطقية الطبيعية فأحسن تربية بالنظر
للانشاء تتحصر في ممارسة وسماع أجود المؤلفين والكتاب
وفصحاء الخطباء واهل المنابر فمعجم المفردات والعبارات المحفوظة
لاى انسان تتعلق دائما وعلى الخصوص مدة الشبوية بمن نحاط
ونعاشر ونسامر من الصحب والخلان والكتب منها فطالع
أذن أيها النشء أحسن الاقوال التي تصنفها اقلام أصحاب
اسمى العقول وأفصح الالسنه وأنت لا يفوتك شيء من سامي
افكارهم وعالى فصاحتهم ولكن يلزمك فقط ان تحترس من
تقليدك اياهم في أنشائك وكلامك لدرجة توقيع الحافر على الحافر
مما يعد من قبيل الاسر والتقييد على النفس . على أن في انشاء
كل انسان كما هو في صفاته الذاتية صفة خاصة به يجب احترامها
واعتبارها لصاحبها وزد على هذا فانه قد لا يلزم الانسان ان
يعتنى بالانشاء فقط ويجعل فصاحة اللسان أو الالفاظ هي الحرية
بالاعتبار دون الالتفات الى تقوية جانب بلاغة المعانى ورصانة

الافكار^(١) فكن ايها النش كذلك معتمياً بان تأتي بالمعاني والاشياء
الجدية الرصينة حتي ولو بصرف النظر عن ابرازها في القوالب
والصور البليغة الرشيقة اللفظية . وما احسن ما قال سقراط
(Socrate) الحكيم مخاطباً ذلك الشاب اليوناني القديم « اذا كان
لديك شيئاً تقوله فانك تعرف دائماً كيف تقوله » ومثل هذا
المعنى جاء ايضاً في اقوال بولس الرسول الى جماعة المسيحيين
الاولين من اهل قورنثيا وهي أيضاً عين ما يقوله « جوث »
الفيلسوف الالماني الشهير من المتأخرين حيث قال مخاطباً الجماعة
الطلبة الالمانيين « تخر الادب والفضل وأترك النذق واوهامه
الفارغة فالمعنى الحسن يوجد له دائماً ما يعير به عنه بدون احتياج
الى قواعد الاتقاد (اللغة) وان كان لسانك لا يخون جنانك
فما هي فائدة التعب لصيد الالفاظ والكلمات »

على انه مع استعمال هذا التحوط وذلك الاحتراس الانف
فانك قد لا تعرف جيداً ان تتعلق بأهداب الكتابة والانشاء

(١) ليعني هذا النصح اولئك الشبان المتشبهون بالانشاء عندنا الذين قد
يفرحون بما اتوا من فصاحة الالفاظ وتقميرها دون التفات الى جزالة ودقة
المعاني الفكرية واصالة الاراء حتى لا ينتقد عليهم بالبساطة والسذاجة العقلية وتتص
المعرفة والخبرة اه معرب

العصرى أيضاً بذلك المقدار من الصراحة والزلافة والترتيب والرقرة والانسجام وجزالة المعنى وغزارة المادة الى غير ذلك مما يعد الآن من لوازم وشروط الانشاء الجيد لان فن الكتابة والانشاء لما كان في هذا العصر قد يسوق الانسان المهذب من جهة اخرى في بلادنا وسائر البلدان المتمدنة الى القول العمومى والخطابة^(١)— واني لا ارى بذلك فقط اولئك الخطباء من اهل المهن كالمحاميين والوعاظ واهل السياسة وارباب الصحافة وانما اقصد بذلك ان كل انسان من اهل هذه الاقطار الراقية الحرة ربما صادفه وقت من الاوقات يدعي او يلتزم فيه ان يجاهر بآرائه واحساساته على العموم من بنى قومه بطريق الخطابة والقاء الافوال إرتجالاً وما شابه ذلك فان لم يكن قد أخذ الالهيّة لذلك بالعود على الانشاء الخطابى المناسب لروح عصره من قبل أى منذ دور الشبوية فانه قد يصادف في دور العمل مصاعب ومتاعب بالنظر لذلك قد تجعله لا يقدر على التعبير والتصريح بافكاره بين سامعيه بتلك الزلافة والفصاحة التى تأخذ بمجامع القلوب وتخلب الالباب من أجل ذلك كان الغالب فى الكلام

(١) حبذا لو روعي ما يقصد المؤلف هنا فى تربية الناشئة منذنا اه معرب

والانشاء الخطابي ان ترى عليه مسحة التكلف والتصنع اللازم
فالنقطة المهمة اذن بهذا الصدد هي ان يبدأ منذ الصغر بالتعود
على تجنب الاقوال الخطابية بواسطة الورق الامر الذي على
ما ملاحظ عليه من قبل الفيلسوف افلاطون قد يثنى من همة
اولاء الرجال ويضعف من قوتهم حتى يصيرهم غير قادرين على
الاتيان بالاقوال ارتجالا الا بلهجة تبعد عن اللهجة الطبيعية مما
يجعل هؤلاء المهذبين اقل فصاحة من اولئك المتوحشين اهل
السذاجة والبدائة (وفي البدائة حسن غير مجلوب) فابناء الشبية
يجب ان يتعلموا ترتيب أفكارهم وتنسيقها على احسن ما يكون
بدون توسط المسطر في القرطاس الا اذا كان من امر مثل
خريطة أو مفكرة صغيرة قد تستوقف النظر وترشد الفكر وتعينه
في الابتداء ومع ذلك فالاحسن عندي ايضا ان يبذل الجهد حتى
يستغنى عن مثل هذه المساعدات القليلة للفكر حتى يمتلك تمام
قوته بطبعه واجتهاده . على ان الخطيب يجب عليه ان يوجه
نظره دائما نحو سامعيه وهذا قد لا يتمكن منه تماما اذا كان
المرء مضطرا الى القاء نظره من حين الى حين في القرطاس الذي
فيه المواد والاشياء التي يريد الخطابة فيها وانى لست في حاجة

الى الارشاد والنصح بان جمعيات الجدل والمناظرات العلمية
والادبية المنشأة منذ مدة طويلة بين طلبة مدارسنا الاسكتلندية
والتي قد جاءت باجزل الفؤاد هي أحسن مدرسة وأفيدها للتلامذة
وابناء الشبيبة بهذا الصدد^(١) فالممارسة والتمرين يوجبان المهارة
وهذه تولد في الانسان الثقة والقدرة من نفسه أما الحياء والوجل
الموجبان للارتجاج والاذان هما بطبيعة الحال قد يستوليان على
الشاب عندما يشارف الخطابة العمومية لأول مرة فقد يزولان
ويتلاشى أمرهما او على الاقل لا يذهب به الحال الى درجة
الاعياء والحصر عندما يكون قد رسخ قدمه بواسطة التمرين
على نحو ما اشرنا اليه آنفاً علي ان التغلب على هاتين الخلتين من
الحياء والخوف وازالتهما مرة واحدة ليس بالامر الضروري
جداً لانا نرى من جهة أخرى ان المعجب والخيلاء بالقدرة على
القول العمومي له نقائص من الدعوى ومزائق هي اقل على
الخطيب الشاب واجلب للخطر من قليل ما يعتره من الحياء
المصبي النافع للتحوط واخذ الحذر ثم انه من جهة اخرى يلزمك

(١) نسمع بين حين وآخر بانشاء جمعيات بين طلبة المدارس من هذا القبيل
عندنا ولكن لما كان الثبات ايسر من كبر صفاتنا فلذلك سرعان ما نفشل ويذهب
ريحتها اه معرب

اذا قلت خطيباً متكلماً بين العموم ان لا تحرى ابدأ التنصل من
روح المسؤولية الامر الطبيعي الذي قد يؤثر به الانسان بل قد
يوجب ان يؤثر كلامه على احساسات بني جنسه من كل طبقة
لكر حذار من ان يكون هذا الاعتداد والتحوط له داعياً
الافساد عليك بالابهام والايهام مما قد يحط من قدر كلامك
ويجعله بلا قيمة وخالياً من الثقة والجرأة بالقدر اللازم فلماذا يجب
ان لا تسمع لو سواس نفسك بل اصعد منبراً أو منصة الخطابة
بجأش ثابت وجنان رابط حافظاً تماماً لموضوع خطبتك راغباً
واقفاً جيداً بانك ستلقى قولاً مفيداً متكلاً على الله في ان يسدد
قولك ويلهمك فيه الصواب والحكمة قولاً وفكراً. ولست أريد
بهذا انه بالوضوح والقوة والقدرة على الاتيان بالقول فقط قد
يستغنى المرء عن العناية بتلقي اصول البلاغة والخطابة بواسطة اهل
الفن من العلماء بل اعني بذلك ان الانشاء والخطابة البسيطة الجليلة
هي موهبة الآهية وانه لا موجب للتمب وبذل الجهد في تحريهما
باللهف والشغف الزائد باكثر من اللازم أما فنون البلاغة والخطابة
بشكائهما الحقيقي فهما كفن الرقص والسير العسكري من حيث
انهما فنون تقتضى في غالب الاحيان مزاوله خاصة بها في سير التعليم.

﴿ الفصل العاشر ﴾

(انتقاء كتب المطالعة واختيار اسفارها)

قد قلت من أول صحيفة في هذا الكتاب انه لا يجب الاعتماد على الكتب وحدها في التربية العصرية وتجرى الحكمة الصحيحة غير ان هذا القول غير مانع لنا عن ان نقول هنا مع ذلك انه بالنظر لحالة الانسان المدنية والاجتماعية فان الكتب ما زالت ولن يزال لها دور مهم في تربية العقول وترويض الافكار للناشئة بالمقدار اللازم المفيد ولهذا وجب على ان اقرر هنا بعض قواعد تفصيلية بخصوص انتقاء الكتب والاسفار واستعمالها في المطالعة بصرف النظر عن الكتب المدرسية فأجعل نصب عينيك أيها الشاب اولاً بالنظر للعدد الجسيم لتلك الكتب التي تترشح بحمل اثقائها رفوف المكاتب انه لا يوجد في لفيق فروع المعلومات الانسانية الا يسير من تلك الاسفار الجليلة الجديرة بالعناية اما باقيها فكأها كالمساعد والمعين لتلك واحياناً تكون كالطفيلي المزاحم لهاقتشبه بذلك تلك الشجيرات « اللبلابية » التي تعلق وتستطيل على جذوع الاشجار النافعة وفروعها فيكون اثمها اكبر من نفعها^(١)

(١) انالو فخصنا الكتب العربية عندما راينا الكثير منها على هذه الشاكلة والحيد منها على نحو ما قال عنه المؤلف فالشكوى اذن واحدة ام مرب

وعلى ذلك نقول ان ألوفاً بل ألوفاً من الكتب والاسفار
ألفت في أصول الديانة المسيحية منذ ان عم نشر الانجيل وظهر
التبشير به ولكنها كلها بالتحقيق لا تزيد ولا تفضل عن الانجيل
نفسه مطلقاً ولو وجدت يوماً ما معدومة بالحرق لا آخرها لما
أثر ذلك بالضرر قط على بقاء الديانة المسيحية ولا ألفت قائمة ثابتة
مثل ما هي عليه اليوم وبالتحقيق فانه يوجد في كثير من الكتب
المؤلفة ولها شهرة في عصرها كثير من الاوهام الضارة اكثر مما
تجمع من امور الحكمة وضروب الصواب والحق كما وقد يوجد في
آخر منها كثير من الزوائد والحشويات مما ضرره اكبر من نفعه.
فأحرص أيها الناشئ، وخذ من الكتب احسن مختاراتها من نفيس
مؤلفات فحول اهل العلم وكبار ارباب الحكمة من اصحاب الآراء
السامية والمقاصد الحسنة وسير اصحاب الاعمال العظيمة وانه
لا هم واخلق بذلك الطالب للعلوم الدينية أن يحفظ عن ظهر قلب
سفر العهد الجديد في اصله اليوناني عند تضلعه من هذه اللغة
ولا ان يكون واقفاً وقوفاً تماماً على احداث المؤلفات الدينية لكل
من العالمين اللاهوتيين الشهيرين الدكتور «كر» (Dr Kerr) أو
«استافورد بروك» (Stapford Brooke) نعم أن أمثال هاته

المعارف والمعلومات لازمة ولها فوائد لها الجلي غير انها ليست
قط بالاصلية الجوهرية ويمكن الاستغناء عنها عند اعادة التعمق
في الديانة المسيحية لكنه لا يمكن الاستغناء عن التوراة والانجيل
مثلا فأجمل نصب عينيك أيها الناشئ المؤلفات العظيمة التي
أتى فيها فطاحل أصحابها من أساطين أهل العلم بما تقف عقول البشر
وربى قرائحهم كما قد أفاد واصلح من أحوال الأمم وهذب افكارها
ونفوسها ايما تهذيب . فطالع في السياسة مثل كتاب ارسطو
وفي الرياضيات ما دون « نيوتن » (Newton) وفي الفلسفة
« ليبنتز » (Leibnitz) وفي اللاهوت « كودورث » (Cudwrth)
وفي الشعر « شكسبير » (Shakspeare) وفي العلم « فراداي »
(Faradey) ثم لا يفوتك أيضاً الالتفات الى اصحاب العقول
الذكية التي وأن لم تكن قد حصلت من العلم على نتائج وضعية
مقرره ولا آثار جديدة مستنبطة فان لما قررت ايضاً فوائده الخاصة
به ولو كان من قبيل الجدال والمناقشة والكشف لتلك الاغلاط في
الآراء الالهية الاكثر شيوعا وانتشارا بيننا فهي بذلك قد ترد
الامة وترجع بها الى الانضواء والرجوع في الافكار الى ما يوافق
العقل والصواب ومن بين هؤلاء المؤلفين اذكر « فولتير »

(Voltaire) الفيلسوف الفرنسي الشهير في فرنسا «وداود هوم»
 (David Hume) عندنا في انكنا ترا^(١) وأعلم انك اذا اردت ان
 تراول بالدراسة والممارسة الجيدة مؤلفات هؤلاء العظام وتعود
 على أستيعاب اقوال أولئك الكبار من المفكرين والمكتشفين
 في عالمي العلم والادب والحكمة فتق بانك ربما صادفتك مصاعب
 وشعرت بمتاعب بما قد تستعجم عليك وتحنونك فيها القريحة
 في بدء دراستك لها فانك اذا في احتياج الى سلم من وسطي
 الكتب وصغير الاسفار ترقى بها الى ان يصافح فهمك وادراكك
 افكار هؤلاء « الانصاف آلهة » يدأ بيد فهاته الكتب الثانوية
 هي بالحق لازمة لانها تعد سلما للرقى التدريجي للتوصل الى
 حصن العلوم المشيد المنيع ولا قبل لك بالاستغناء عن مثل
 هذه الوسائط فتطرحها وتحذفها عنك بلا سبب عيب يكون
 فيها ولذلك اقول لك خذ مثلا اذا اردت ان تدرس لغة ما احدى
 « الاجروميات » الصغيرة التي تبحث في المبادئ الاولية الصرفية

(١) يمكن ان نذكر من بين الاسماء الكثيرة عندنا المقصد الذي يرمي اليه المؤلف
 هنا اسماء الامام الغزالي ، الرازي ، الطبري بن سيناء ، ابن رشد ، ابن خلدون
 الراغب الاصفهاني ، المتنبي ، أبو تمام ، البحترى الجاحظ ، ابن المقفع الشاعر
 الفيلسوف ابو العلاء المعري الخ هذا فضلا عن كثير من المؤلفين المصريين اه معرب

والنحوية لتلك اللغة اما الاجروميات الكبيرة المطولة فلا تبتدىء
 بها لانها قد لا تفيدك بأكثر من تلك في حال الابتداء و كذلك
 يلزمك ان تتعلم بالاعتناء اصول الاشياء قبل فروعها كما يلزم في
 التشريح مثلا ان نعرف اولا الهيكل الانساني والبنية الجسدية
 قبل ان ندخل في غمار البحث عن « قسيولوجيا » الانسجة
 الجسدية واني اقول ان هذا الاسلوب وان كان يظهر صعباً
 بادىء بدء لكنه قد يوفر علينا في المستقبل كثيراً من المتاعب
 وعظيم الصعوبات والمشاق

وإذا أخذت في درس احد هذه المؤلفات الصغيرة فلا
 تجعلن مطالعتك لها قاصرة على انك قد طالعتها فقط بدون ان
 تحاسب نفسك على ما فهمت وقرىحتك على ما استوعبت منها
 ليس لان ثم اشياء يجوز ان نستعمل فيها مثل هذه الطريقة لانها
 اشياء في اعتبارنا ليست من الاحسن والاجود مما نرمون ونشتهي
 بل هذه طريقة على كل حال ليست في شيء من حسن الدراسة
 وحقيقتها وزيادة على ذلك فهي طريقة معوجة ينجل منها كل
 ذى عقل سليم وفكر ناقب وهي ان كانت قد تستعمل في بعض
 الاحوال غير انها ليست من الضرورة في شيء ولا يستعملها مستعملها

الا لانه قد لا يقدر أو قد لا يرغب ان يعلم كيف يفكر ويفهم
وانى لست بمكلفك أو ناصحك بشدة مع ذلك في التزام الفكر
العظيم غيب القراءة والمطالعة او التمتع الكثير في اثنائها على الاقل
لانك اذا تحصلت بنفسك ان تعرف بعد بذل شيء من الجهد
والاعتناء الفكرى القليل ان ثلاثة اضلاع المثلث مثلا هي
لاتساوى فقط زاويتين قائمتين ولكنها بالضرورة يلزم ان تكونها
فقد علمت بما يزيد في ان يقوى فيك خلة التعقل والادراك
بهذا الصدد أحسن مما لو حفظت بدون تفهم عن ظهر قلبك
الكتب الاثني عشر لافليدس (Euclide) في الهندسة

ثم انى انصحك ان تجعل مطالعتك مرتبة بحسب خطة
منتظمة ووافق نظام تاريخي اذ بدون ذلك لا يحصل للاشياء
ترتيب في ذهنك وان أحسن الخطط بهذا الصدد هي الخطة
الطبيعية بحسب سياق الحوادث وترتيبها وظهورها هي نفسها
وارتقاؤها التدريجي فأقرأ بالنسبة الى التاريخ مثلا السفر الكبير
« لبلوتارك » (Plutarque) في التراجم اليونانية من عهد
« تيزيس » (Thésée) الى ترجمة « كلومين » (Clomène)
و « أراطوس » (Aratous) وأنت تحصل في ذهنك على

تاريخ اليونان القديم أحسن وأفضل كثيرا مما لو كنت قرأت فيه
 مشاهير المؤلفين المتأخرين مثل المؤلف «ثيرلوال» (Thirlwall)
 والمؤلف «جروت» (Groute) غير ان هذه القاعدة هي ككل
 قاعدة اخرى من حيث انها خاضعة لشواذ والشذوذ الواقع
 هنا انما يأتي مما يظهر في بعض الاميال الخصوصية فاذا وجدت
 في نفسك الميل والجنوح الطبيعي مثلا الى درس بعض العصور
 التاريخية فلا تتردد بل اجتهد في الدرس واعمل فيه بالتأمل
 والكمال لانك بتعلقك وتشبثك بذلك تكون كالاخذ بحلقة
 من سلسلة يأتي مع ذلك وقت تدور في يدك فتلمس كل حلقاتها
 لانك كلما تقدمت بحسب ذلك الميل فيك كلما شعرت من نفسك
 بلزوم الربط بين الحوادث برباطها التاريخي القوي المتين بين
 سابقها ولاحقها وإذا كان الشأن عندك متعلقا بالتحصيل العام
 للحوادث التاريخية فيمكنك استثنائيا ان تسمح لنفسك بالمطالعة
 للعادة إنما الحذر من جعل الامر لمجرد التسلية فقط الامر
 الذي قد يلذك ويريح خاطرک وبالتالي يمنعك الحصول على ما هو
 الانفع والامتن من امر التربية لانه مجرد تماما عن فضيلة ومزية
 كل تربية حقة فمثل هذه المطالعات التي هي الآن قد يتشبت بها

كثيراً مضارة بالعقل أكثر مما هي مفيدة للخاطر ملذة له ولقد
كان أهل العلم من أبناء القرن الساس عشر والسابع عشر أقل
عدداً في الكتب والمؤلفات العلمية مما نحن عليه اليوم ومع ذلك
فقد كانوا يستفيدون منها أكثر مما نستفيد نحن من كتبنا وأسفارنا
الجمّة وأنا ليخال لي أن الرجل الذي يطالع الحوادث التاريخية دون
أن يستوعب عبرها وعللها وأسبابها إنما يكون كذلك الحيوان
الصغير الشبع الذي يجري في الكلاء هنا وهناك عابثاً شاماً بمنخره
للحشائش بدون أن يأكل منها شيئاً لشبعه من كثرتها امامه

﴿ الفصل الحادى عشر ﴾

(ارشادات في المطالعات الفنية اخصوية)

انه ليحسن بي هنا ان اقدم بعض ملاحظات بصدد ما
اسميه «المطالعات المهنية» التي هي في مقابل تلك المطالعات
التي لا يقصد بها غير التحصيل العام فانه قد يوجد بطبيعة الحال
في أبناء الشبيبة ميل عظيم نحو الابتداء بتحصيل الدروس الصناعية
وهي التي يسميها الالمان بالاسم المطابق للمعنى المقصود من
ورائها وهو «الدروس المراد بها كسب العيش» وليس هناك

اذنى شك في انه بالتعلق العظيم بهذا النهج درن تحفظ له
 يكون ابناء الشيبية قد ارتكبوا الغلط كبير لان الاختبار العملي
 انحصو صي وتاريخ تقدم المهن والفنون البشرية والصناعات العملية
 قد اثبت ذلك وجلا حقيقته بلا نزاع . على ان قليلا من
 استخدام الفكر قد يوضح ويثبت لذلك الناشيء الذكي الفؤاد
 ان كثيراً من المعارف العمومية التي هي الآن قد تعد عنده
 مثلاً كأنها من التحليلات والزيئات التي لا فائدة منها بل والتي
 ربما رآها من الزوائد والمعوقات تكون غداً لديه من اثنان
 وأجل الاعضاد والعدد الاكثر نفعا في مهنته المستقبلية ، وهذه
 الحال التي تشاهد على الخصوص في درس اللغات الاجنبية
 إذ أنها قد تظهر بادية ذى بدء انها مانع يمنع الطالب الذي
 يقصد في درسه حقائق الاشياء المقصودة ولكن قد يظهر له
 بعد لزومها شيئاً فشيئاً كلما اتسع نطاق معلومات الطالب وتعمقه
 في المعارف أما اذا وجدت منفعة درس اللغة كأنها كانت من
 الزوائد فذلك لا يكون الا إذا كان قد انتهى بها منحى الغاية ورمى
 الى التبحر فيها لها ولكن قيمتها الحقيقية مادامت معتبرة كواسطة
 وآلة توصلنا الى الغاية الشريفة التي نسعى اليها في هذا العالم فهما

كذخاوتعبنا في تحصيلها لانكون متغالين ولا مكثرين في ذلك^(١)
ثم انى ازيدك ايضا حان من جهة اخرى هنا وهوان الرجل
الذى لا يخرج في دراسته عن حدود مهنته يعد ولا ريب من
اصحاب العقول الضيقة بل ويرى اردا من ذلك لانه قد يكون
بنوع ما كانه «كأن اصطناعى» بل يحسب متوجا بشريا غريبا
لخصوصيات المهن الخاصة محولا بينه وبين الحقيقة الطبيعية
العظيمة وبمعزل كذلك عن مفيد نفوذ معاشره الناس وسلطة
الخلطة بهم لان المعتبر في الهيئة الاجتماعية ان الرجل الذى لم يكن
له من هم سوى صرف همه كاهنته يكون في اعتبار الهيئة الاجتماعية
كلا شىء ويفقد صفته الانسانية الحقة بالمعنى المقصود بها هنا
لانقطاعه واختصاصه بالمية فقط في صناعته الخاصة به فاذا كان
تاجر جلود مثلا كان همه وكلامه كله في «الجلود» واذا كان
رجل علم ودرس طلب الكتب انى وجد وحيما سار كانه يشم
ريحها كما يشم رائحة التبغ ذلك المدخن القديم فيحسن اذا بالشاب
ان يتعمد عن الخوض والاستغراق قبل الاوان خصوصا في
غمار الامور المهنية الصرفة بتلك الشدة المتناهية الضارة به بل

(١) لى هذا النصح من يجملون درس اللغة بالتمق والطولة الفرية ديدنهم
عندنا اه مررب

يخلق به ان يتحاشي ذلك النفوذ المتزايد على الدوام مما يسميه العوام «روح الطائفة» وحيث كل الأشياء مرهونة باوقاتها فهو قد يشعر من تلقاء نفسه بضرورة التعلق بالمهن الخاصة عندما يحين عليه الحين لاشتغاله تماما بها أما في حال التربية العامة له فليترك شأنه راتعا في مجبوحة الحرية بالمعنى المقصود هنا لتصفو له المشارب ويأخذ من كل شيء احسنه مادامت له منه مندوحة في زمن التربية.

على أنك اذا رغبت التعلق في درس المهنة والاشتغال بهامند الاول ووجدت انه لا يمكنك ان تجد مكانا في عقلك للتحصيل في التربية العامة فأعلم انه ليس هناك فن من هذا النوع مهما يكن من استيفائه وكاله يمكن أن يعلم المرء كل ما يلزمه في مهنته وصناعته لان اعظم وأجل تربية من هذا النوع قد يفغل فيها عن أنفع وأهم ما يلزم لها فهي قد تغفل مثلا النقطة المهمة التي بها يتصل ذلك الفرع الخاص ويرتبط مباشرة بالوفاق والاتحاد بعموم المبادئ والاصول والعواطف الانسانية. فهذا علم الحقوق من بين كثير غيره يظهر لنا خير شاهد لهذه الحقيقة الراهنة اذ ليس ثم شيء اعظم صبغة اصطناعية فنية قد يخالف

الاحساس والعواطف البشرية في كثير من أنحاءها مثل القانون مع انه في الصف الاول من المبادئ التي تناضل وتذود عن الحقوق والحريات فهو الذي عليه المدار في تنظيم وترتيب هذه المسائل المهمة العظيمة التي يجب لأجلها ان يكون صاحبه رجلا كاملا مما جميعه لا ان يكون رجل التفنن في التشريع والتقنين فقط كذلك الحال في علم الطب أذ قد يجب ان يعلم أصحاب هذا الفن من طبيعة النفس الادوية واسرارها النفسانية الخلقية اكثر مما يعرفون من صناعة تركيب العقاقير والادوية وتشخيص الأمراض وليس الشأن حتي في علم اللاهوت باكثر من ذلك إذ انه كلما كان اقرب الى التكلف واغرق في التصنع والتفنن كلما بعد عن خير الانسانية وروح الانجيل الشريف على ان الاختبار وان دل في الاول على ان التلميذ الذي يتربى التربية العمومية الشاملة يكون في الفروع المقصودة بالذات أضعف قوة من ذلك الذي يشتغل بها مباشرة غير أنه قد دل من جهة اخرى على انه مع طول الزمن يتضح الامر انه قد اسس بنيان تربيته على اساس متين يمتاز به على قرينه المتخصص منذ الاول لفرع واحد لان هذا في الواقع بما قد ضيق على نفسه وحدد

من دائرة علمه بما اعتاد عليه من ذلك يضحى غير واقف حتى على ذات الاصول التي يستند عليها في فنه كما لا يدرك تلك الروابط التي تربط هذا الفن الخاص بتلك الفوائد العمومية وروح الفكر العام للانسانية ومعناها .

وأحسن الطرق الواقية التي تحول دون شدة الميل للاشتغال بتلك الفروع المهنية لخصوصية مباشرة^(١) انما قد يحصل بالالتجاء الى ما للهيئة الاجتماعية من سليم النفوذ بالخلطة والعشرة على النفوس ثم عمل السياحات ومطالعة كبار المؤلفين خصوصا كتب التاريخ ودواوين فحول الشعراء لان ما يراه الطالب فيها من تلك الافكار والآراء المحض انسانية تهذيبية قد « تجرى في عروق العالم دما غزيرا كريما » وتفتح مجالا واسعا للعقل وسمو العواطف الشريفة

(١) كل هذا من نصح المؤلف يدل على شدة تعلق النفوس هناك بطلب فروع المهن الخاصة مباشرة وكثرة ميل الشبان للانصراف اليها والانكباب بالجد عليها حتى نصح بما نصح لهم به هنا اه معرب

❦ الفصل الثاني عشر ❦

(نصائح في تعلم اللغات الاجنبية)

انى اختم هذه المقالة الاولى في التربية العقلية ببعض ملحوظات ونصائح ارى انه قد ينتظرها منى بالضرورة اولئك الذين يعرفون حال مهنتى في التعليم اعنى ما يتعلق بتعليم اللغات وهاته التقييدات التى اسردها هنا بهذا الصدد بحسب ترتيبها وتنسيقها الطبيعى انما هى نتيجة تجارب واختبار عدة سنوات وليتأكد الناظر فيها ان صبغتها محض عمليه فأقول .

- ١ - ابديء في الدرس اذا أمكنك على استاذ ماهر فإنه يوفر عليك كثيرا من الوقت بما قد يزيح من امامك شيئا فشيئا من المصاعب التى قد تثنى من عزيمتك في الدرس والتحصيل ويدرا عنك من التعود على النطق السيء في اللغة التى تكون بصدد تعلمها بما كنت قد لا تعرف كيف تخلص منه في المستقبل
- ٢ - وهنا نقطة مهمة ثانية وهى ان تسمى علنا مجرأ بصوت مسموع كل الاشياء التى تقع تحت بصرك باسمائها في تلك اللغة التى تتعلمها غير ملتفت بالمره الى اسمائها في اللغة الانكليزية (أو العربية مثلا) وبعبارة أخرى افكر بهذه اللغة الاجنبية

وتكلم بها بالنظر الى الاشياء التي تحيط بك من وقت اشتغالك
بها وتذكر أيضاً ان حاجة اللغة التي تتعلمها انما هي الى الاذن
واللسان اكثر مما هي الى الكتب والجنان

٣ - احفظ عن ظهر قلبك في اللغة التي تتعلمها الصيغ
الاكثر بساطة والاشهر استعمالاً في تصاريف الافعال ووجوه
الاعراب فيها

٤ - اذا عرفت الفاعل والمفعول في تصريف الافعال
في اللغة التي تكون بصددتها نخذ الشخص الاول من صيغة
الحاضر لاحد الافعال المتصرفه واسرد بصوت عال بعض جمل
قصيرة تركيبها بحسب القاعدة النحوية المتعلقة بالفاعل والمفعول
كأن تقول مثلاً في اللغة اليونانية القديمة « أرى الشمس »

٥ - توسع في هذا التمرين بان تضيف الى اسم المفعول
بعض ما يوصف به مما تختاره كان تقول مثلاً « أرى الشمس
الساطعة »

٦ - استمر بهذا الشكل مترقياً واحفظ عن ظهر قلب كل
صيغة تصريف الفعل الحاضر والماضي والمضارع لجميع الافعال
البسيطة مجتهداً دائماً في تركيب بعض الجمل القصيرة من هذه

الافعال والاسماء التي تختص بها مع مداومة الافتكار مباشرة في اللغة التي انت بصددها تاركا جانبا بهذه المناسبة اللغة الانكليزية وليعلم ان في هذه المبادئ الجوهرية لكل طريقة عقلية في التربية اللغوية توجد صعوبة وهمية لا حقيقية يلزم مقاومتها وفي كثير من الاحوال يجب ان تكون هذه المقاومة ضد العادات المستعصية في التشبث ببعض الممارسات الرديئة.

٧ - متى ما يعود اللسان والاذن مرة على الالمام والاحاطة بالصيغ البسيطة للاسماء والافعال والجمل الصغيرة - لا قبل ذلك يصير التلميذ منقادا بطبيعة ارتقائه التدريجي الى مزاوله وممارسة التراكيب الارقى والاكثر صعوبة من تلك

٨ - لا تتعلم أي قاعدة من قواعد اللغة التي اتت بصددها ما لم تصحبها بالامثال والشواهد وبمعنى أوضح يجب ان تستنبط القواعد التي تعلمها من تمرين بالاذن واللسان كما ينبغي ان تكون هذه القواعد قليلة العدد سهلة الادراك بقدر ما يمكن

٩ - جميع الشواذ للغة وقواعدها على اختلاف انواعها احسن ما يكون فيها هي ان تعلم بالتمرين والممارسة بحيث انها تكون دائما مصادفة لنا في التمثيلات . وكثير من تلك الشواذ مما قد يكثر

شأنه في تصريف الافعال فهذا ينبغي حفظه عن ظهر قلب
 ١٠ - طالع متى تطلعت من اللغة التي تتعلمها كثيراً من
 الحكايات والمحاورات الاعتيادية فيها كمحاورات « لوسيان »
 (Lucien) في اللغة اليونانية القديمة . ولا تستغنين بذلك عن
 التفكير والكلام باللغة التي تتعلمها كما اعتيد عليه عندنا ويلزم ان
 تأخذ ايضاً بعض مواضيع من التاريخ واشياء الطبيعة وتصنفها
 بتلك اللغة بصوت عال .

١١ - ينبغي ان تجعل عماد تمريناتك كلها الشفهية والكتابية
 التكرار اذ لا كتب خاصة بمثل هذه الدروس الاولية التي يلزم
 ان تكرر حتى ترسخ في الازهان اشياها

١٢ - يجب ان تكون مطالعاتك ذات ارتباط بالاذواق
 العقلية السليمة فاذا كان الكتاب الذي تطالع فيه ذافواً وغزيرة
 تضاعف نجاحك . ومن المساعدات بهذا الصدد الامام بيمض
 الموضوع من قبل كما هو الشأن لدينا نحن ابناء اسكتلندة فان
 احاطتنا مثلاً بالكتاب المقدس تجعل مطالعتنا له في اللغة
 الاجنبية التي نكون آخذين في تعلمها من أحسن وأفيد الكتب
 لدينا في تعلم هذه اللغة الاجنبية

١٣ - يلزم أن تقيد في حال مطالعتك بالاعتناء فقط
 اختلاف بين خصوصيات لغتك واللغة التي تكون بصدد تعلمها
 فان ذلك يسهل عليك طريقك في الترجمة والنقل من هذه اللغة
 الى لغتك وبالعكس

١٤ - لكي تحصل ما أمكن من الضبط والسهولة في
 تعلمك لا بد لك من مطالعة « غرماطيق » جيد في اللغة التي
 تتعلمها مداوما على ذلك مدة ما بقدر ما تتعلم وتجنّب من الفوائد
 ولكن ليكن تعلمك من الغرماطيق بعد استفادتك جيداً من
 الممارسة لا قبلها .

١٥ - لا تكتفي بما تراه في مثّات الغرماطقيات من عموميات
 طرق القواعد بل اجتهد انت بنفسك لكي تجد القاعدة المطلوبة
 من ذاتك وتعرف ما اذا كانت من قواعد النحو الخاصة بتلك
 اللغة أم هي عامة شاملة

١٦ - ادرس نظرية اللغة التي تكون بصدددها وشكل
 تركيب المخاطبة واسلوبها فيها ثم ما يختص بها من حيث ما يسمونه
 بفن بحثها التمثيلي وبهذا تنكشف لك المبادئ والاصول التي
 تعينك على متابعة الدرس بعقل وروية مما قد يكون جله صعباً

عليك مستعصياً على ذاكرتك وادراكك فيما لو مارستها وباشرت
تعلمها بكيفية اخرى

١٧ - التمرين العملي هو الاساس الجوهرى فلا بد من
الاعتیاد على اللغة الجديدة بالتمرین وذلك لا يتم الا بالمطالعة
والمحاورة فان لم تجد من تكلم بهذه اللغة فلا بأس من ان يكلم
الانسان نفسه^(١) بها بصوت عال فان للاذن واللسان وظيفتهما
في التمرين كما هو للبصر وفي المطالعة لا ينبغي الاقتصار على
معرفة اهم الكلمات وافصحها بل يجب معرفة كل ما نقرأه
بامعان وتعقل كما لا يلزم فقط ان نعرف ان نطالع برشاقة ودقة
بل يجب ان نستكنه اسرار اللغة وكنه بلاغاتها ثم لا تنقب
عن التفصيل قبل ان نحيط بالجوهر والروح أو اللب الاجمالي
العمومي ونحيط به بكل لذة وارتياح مثال ذلك انه يجب ان
نقرأ ونطالع عشرين مرة كتاباً قبل ان نشغل باختلاف نسخته
وما علق عليه من الشروح ولطائف الانتقادات الخيالية

١٨ - الانشاء والتحرير ليسا على الخصوص الاخر
ما قد يأتي في هذه التمرينات في التكلم والقراءة والترجمة التي

(١) لعل بعض القراء يعترض على هذا النصح بدعوي انه يخالف المتعارف
في الاذواق اه معرب

قد آتينا على شرح قواعدها . والقصد هنا الان انما هو الانشاء
 والتحرير في تلك اللغة التي نكون بصدد تعلمها بحسب الاستقاء
 لها من المعاجم اللغوية واختيار العبارات المحفوظة فاقول يلزم
 اختيار احد المؤلفين في تلك اللغة واتخاذ طريقته نموذجاً في
 الانشاء نحتديه لاحذو النعل بالنعل وإنما بانتهاج منهاجه الخاص
 ففي الانشاء الفلسفي نجعل أمامنا « افلاطون » وفي الانشاء
 والاسلوب الخطابي نختار طريقة « لوسيان » وذلك لا بان
 « نسرق » عبارتهما وإنما بانتحاء منحاهما وانتهاج طريقتهما بدون
 ان نستعمل اللغة الانكليزية فاذا حصلت على القدر الذي تراح
 اليه وتطيب نفسك به من ذلك سهل عليك ان تقدم على الاتيان
 في الانشاء من « عندياتك » وبهذه الوسيلة قد يمكنك ان تقدر
 تكتب مثل « أراسم ويتباش » (Erasme Wyttembach) أو
 « روهنكن » (Ruhenken) في اللغة اللاتينية التي برزا واشتهرا
 بالتحرير فيها . على ان ترجمة كبار مؤلفي الانكليز قد تكون
 أيضاً من مفيد ما يترن به ولكنها ليست بالاصل لذلك فيلزم
 تمرين الاذن بالعود اولا مباشرة قبل ان نباشر بتجاح فن
 الترجمة الذي هو أصعب مراساً وادق عملاً

المقالة الثانية

(التربية البدنية)

« ان فخر الشاب في قوته »
« سليمان عم »

﴿ الفصل الاول ﴾

(مقدار عناية الشبان بصحة الابدان)

انه لا أوضح من مسئلة رياضية جلية الحل ان لا شيء يوجد بلا اساس ولا شيء ينمو بغير أصل ولا يتحرك متحرك على غير محور ومركز وفي الجملة فان في كل شيء لا بد من وجود نقطة ما وان تكن ملحقة بالمجموع لكنها مركز الاتصال الذي يربط به الكل مثال ذلك انه لا بناء بغير أساس وهذا الاساس لا سبب لوجوده لولا ما يشاد عليه والذي هو مع متانته وصلابته واهميته يبقى مدفوناً في الارض مطموراً محجوباً عن الابصار وهذا في الحقيقة هو مثال العلاقة التي بين روح الانسان وجسمه وبين حركته العقلية وصحته البدنية وبهذا

البيان والتمثيل الذي بسطناه ينبغى على الناشئ ان يعلم ان
 اول واجب عليه انما هو الاعتناء التام بصحة أعضاء جسمه ودمه
 لان ذلك اساس حياته

نعم كل انسان يعلم ان الافتكار بسلامة البدن وصحة الجسد
 هو في الواقع آخر ما يشتغل به ويفتكر فيه ابناء الشيبية حتى
 انه كلما كان الناشئ اكثر نشاطا في العمل واجتهادا في الشغل
 كلما كان اكثر ارتكابا لهذا الوزر فمثاله كالتقطار الحديدي الذي
 بسبب أهمال اعطاء الاشارات له يوشك ان يقع في الخطر بدون
 ان يرى انه ساع الى حتفه بظلمة فينبغى عليك من اول دخولك
 في دور الدراسة ان تستمسك بهذه الحقيقة الراهنة وهي ان كل
 عمل يلزمك فيه اطالة الجلوس ويكون ملازما فيه على الخصوص
 الشغل العقلي العظيم يكون موجبا للضرر الكثير او القليل وانه
 ليشاهد في الاجسام الضعيفة الاكثر انكبابا على الدرس في
 الكتب سرعة انضواء القوى وانحلال الجسد تلك ملحوظة
 احد الطلبة القدماء ممن عر كوا الامور وخبروا الاشياء فلا
 يجهلن احد ان دمه ليضعف اذا لم يكن له ثم عزم صحيح وارادة
 قوية للعناية بصحته على نحو ما يعنى ذلك العامل النشيط بعدده

وآلاته ويحرص ذلك العسكري الشجاع الباسل على سلاحه
ويخاف على ذخيرته من التلف
وانى لأريد ان اسطر بهذا الصدد هنا بعض النصائح
والاراء العملية الاصلية التي قد املاها على الاختبار الطويل كما
ترى في الفصول التالية

﴿ الفصل الثانى ﴾

(ضرورة تمرين الاعضاء بالرياضة)

ان نماء وحفظ موازنة كل عضو من اعضاء الجسم بل
وكل عمل عضوى فى هذا العالم لا بد له فى الحقيقة من الحركة
والتمرين، وكل الحياة هى عمل واستفراغ مستمر للقوى والراحة
المطلقة لا وجود لها الا فى العالم غير هذا العالم، والنشاط الحيوى
إنما يقاس بقوة العمل، والتعادل بين قوة الجسم وقوة العقل
ليس شيئاً آخر سوى ما يعبر عنه بالصحة والعافية، فاذا ما
اضيف الى ذلك حالة عظيمة من النشاط الحيوى والتمرين
العقلى كان ذلك هو القوة على انه قد يكون الانسان سليم
البدن معافى ولكنه ايس بالقوى لكن صحة البدن تميل بالطبع

دائماً الى القوة كما ان السقم يرمى به الى الضعف ، وكل انسان
 قد يمكنه ان يلاحظ ان وكل نشوء وارتقاء في اشياء الطبيعة
 انما يفسر بنماء وزيادة قوى وان هذا النماء ليس شيئاً اخر سوى
 التمرين والعمل والحركة الاعتيادية للقوة الحيوانية والنباتية في
 الحيوان والنبات وان كل ما يقف في سبيل تلك القوة أى
 يضعفها ويلاشيها من مثل الزوابع والاعصار والجليد الى اخر
 ما في الباب انما هو موقف ومعتل لهذا النماء وذلك التكاثر
 ولا يظن الطالب من ثم مطلقاً انه يجلسه على كرسيه
 منحياً على مكتبه مكباً على كتبه يطالعها ويدارسها انه ينمي
 بذلك قوة بدنه بل ليس من واسطة لذلك غير التمرين بالتروض
 الذي يجري الدم ويقوى العضلات فاهمال هذه الوسيلة يسبب
 انتقام الطبيعة فينبغي على الطالب ان يتعهد نفسه بتمضيه وتضيحة
 ساعتين كل يوم من وقته للرياضة في الهواء الخالص النقي فاذا
 اغفل امر ذلك كان له من برودة رجليه وتعطيل آلة جسمه
 وما يتبع ذلك من توعك المزاج ووجع المعدة أو ألم الدماغ
 منذر يتذره أيما انذار بانه قد اساء الى نفسه وجنى على طبيعته
 أما الطبيعة فيكون « ولدها العاق العاصي » المستحق بكل

تحقيق لعقابها الصارم ان لم يتلافى امره من قريب على افراطه
وتفريطه لان الطبيعة لا تقتدى بالخالق في عطفه وحنانه بل
هي تضمن بما اودع فيها من نظام محكم وترتبت دقيق بالعفو على
كل من يهمل شأن نفسه ولا يعنى بأمر صحته . على انه لماذا
يرتاح الطالب الى تلك العادة من الكسل والرخاوة من حيث
تفضيل الجلوس وعدم محبة الحركة ؟ أليس الانسان قد يحسن
استعمال الفكر قائماً كما يحسنه قاعداً بل هو في الغالب قد يفضله ؟
أما بالنظر الى القراءة والمطالعة ^(١) فانه من حيث انه قد يمكنه
الآن الحصول على نفائس الكتب والمؤلفات المطبوعة بأرخص
الاثمان وبالأحجام المناسبة فلا موجب اذا قصر المطالعة
بالجلوس وتقويس الظهر واحناء الصدر ذلك لان بين الايدي
كتاباً تطالع فيه مع انك اذا كان بين يديك كتاب شعري أو
قطعة تمثيلية فيمكنك أن تقرأها بكل ارتياح ولذة وانت ماش
في غرفتك اكثر مما لو كنت جالسا على كرسى امام مكتبك
وفي الحقيقة فان الجلوس الطويل هو اردأ العوائد التي يجب
ابطالها فاذا كنت مع ذلك مضطراً لان تجلس لذلك فليكن

(١) يريد المؤلف بهذا غير الدراسة المدرسية ونظامها المعهود بل كلامه
سواء هنا او في غيره خارج عن هذه الدائرة اه معرب

جلوسك بان تجل ظهرك الى ناحية النور وتنصب قامتك وتجعل صدرك حرا. وبقدر ما يمكنك اذا كنت بصدد دراسة اللغة أو مطالعة الشعر ان تجعل قرأتك بالصوت العالى. وهذه النصيحة التى نصح بها من قبل القديس «كليمن» (Saint Clément) لها مزية مضاعفة فى تقوية ذلك العضو المهم اعنى الرئة ثم تعويد الاذن على التلذذ بسمع الصوت وهو الامر المهم بالمدارس العمومية على انه ليس من علاقة بين العلم وما يحصله ويستفيده منه الطالب وبين ما يقيد نفسه به من اجله من العوائد الرديئة والخصال المتعبة.

ثم انى وان كنت اوافق ان شطراً من العمل العلمى لا سبيل الى القيام به الا بين الدفاتر وفى وسط الكتب لكن لفرض مثلاً انى اريد أن اطالع ديوان شعر «هو ميروس» (Homère) بتمامه فاذا كنت قد ذلت صعوبة فهمه من حيث القواعد النحوية ومفردات الفاظه اللغوية فقد يمكنى والحالة هذه أن اطالعه على قمة جبال «بن كراوشن» (Ben Cruachan) أو اذا كان الطقس غير مناسب فانى قد اقرأت تحت أشجار الصنوبر الضخمة فى «انفراو» (Inverawe) كأحسن ما يمكنى مطالعته

وانا بين جدران المكتب وتحت سقف جوه الفاسد وما أحسن
 وأذ من مطالعة احدى روايات « إيشيل » (Eschyle) أو
 محاوره من محاورات افلاطون في الخلاء حيث عوضاً عن أن
 نجد الملل والسامة نجد القوة واللذة مصحوبة بما نشم من
 روائح الازهار العطرية وما نسمع من حفيف أوراق الاشجار
 وخرير المياه المتدفقة^(١) اما فيما يختص بما قد نحتاج اليه من
 الكشف في القواميس والمعاجم اللغوية فذلك امر قد يمكن
 لنا تلافيه من اول مطالعة لنا في الكتاب (يريد الكتب الاجنبية
 خصوصاً اليونانية القديمة التي دراستها بتلك اللغة عند الاوروبيين
 من اكبر امهات التربية المدرسية) الذي نقرأه بأن نعمل له
 فهرساً حاوياً لكل الالفاظ التي يعسر فهمها علينا وتريد الكشف
 عن معناها والاستغناء بذلك عن القواميس وتقل حملها وصفوة
 القول ان مما يقتضيه الذوق فيما عدا هذا وشروط الصحة انه قد
 يخلق بالطالب من جهة أخرى ان يتجنب ما أمكن حمل الكتب
 واستصحابها في كل مكان نحل فيه حتى لا نكون كذالك المدخن

(١) ربما استمع شباننا مثل هذا الصنيع من الخروج الى الخلاء ومع المرء
 كتاباً ادبياً لطيفاً يطالع تحت الاشجار أو على ضفة النهر ويرون في ذلك حطة
 وعارا : : : اه معرب

الكبير الذي أينما حل فاحت منه رائحة التبغ .
 على ان هناك طريقة نفيسة تشفي الانسان وتقيه آفة غواية
 الكتب والتطرف فيها الا وهي ان يلتحق الشاب زمنًا بأحدى
 فرق المتطوعين من الجنود لان في النظام والتمرين العسكري
 مزيتين كبيرتين من حيث انه يمحو كل اثر للشغف الكبير
 بالكتب والتطوح في دعوى العلم ثم من حيث انه يقوى الشاب
 ويجعله كفؤًا للأعمال والقيام بالواجبات العائلية والوطنية^(١)
 والبروسيانون هم الآن كما كان عليه اليونان من قبل قد عرفوا
 فضل الخدمة العسكرية ومزيتها فلذلك نراهم يجبرون كل رجل
 عندهم على تأدية هذه الخدمة زمنًا ما أما عندنا فبالعكس من
 ذلك اذ يضطر المرء منا منذ حداثة السن الى الدخول في التجارة
 ومسك الدفاتر وهو ما يتألم منه رب العمل ورجل الوطن
 على السواء على انه بالنظر الآن لرخص اجور السفر وعمل

(١) الخدمة العسكرية ليست اجبارية في انكلترا ولا قرعة فيها كما هي في اكثر
 البلدان الاخرى ومع ذلك فهم يرونها كما ترى من نصح المؤلف من اعظم ما يربى
 الشبان على تأدية الواجبات بعكس الحال عندنا من حيث الكراهة لها والنفور منها
 حتى ليبذل الفقير المعدم كل ما يملك من حطام الدنيا لتخليص ابنه من الاندماج
 في سلكها بحق وبغير حق بدفع البديل العسكري مع ان لدينا كثيرا من الشبان
 قد يرى من فساد حالهم ما لا يقومه الا الانخراط في سكك الجندية اه معرب

السياحات في الارض سواء في السكك الحديدية أو بواسطة السفن البخارية فليس لابناء الشيبية حتى أولئك المجتهدين المجدين في تحصيل العلم والدرس عذر ما في القعود والاكتفاء بتقيد دراستهم للعلم بالمطالعة والانكباب عليها اسابيع وأشهرًا في الكتب المملة عوضا عن اغتنام الفرص بدرس الطبيعة الحية مباشرة بالتأمل والنظر والسياسة والتفرج مثلا في بعض الوديان الخصبية والجزائر البحرية البعيدة التي تحيط بها أمواج البحار وللطالب مع ذلك الخيار والشأن فيما إذا أراد ان يستصحب معه في جيبه كتابه اذا كان ثم احتياج اليه (يريد الكتب العلمية الخصبية) على أنى النصح الى أبناء الشيبية ان يجتهدوا ما أمكن للاستغناء عن امثال هذه المساعدات من الكتب وان يجعلوا استقاء علمهم من الطبيعة مباشرة بدون وسيط بالوقوف إزائها ذلك الموقف الجميل المجيد الذي بما يجلب على النفس والفكر من الوف التأثيرات والانفعالات النفسانية يقوى القلب وينمي العقل . على انه لا موجب للوقوف والتعويق في ذلك بمثل خيالات وأفكار «ورودسورث» (Wordsworth) في حين ان عاداتنا واشيائنا الحديثة قد تسمح لنا جيدا بتثقيف عقولنا

وتقوية صحتنا في آن واحد في مثل تلك المواقف التي هالك هي كل اشياءها المتعلقة بعلوم المواليد الثلاثة من الارض والنبات والحيوان ونحو ذلك من فروع العلوم البشرية الطبيعية كلها قد يمكن درسها كأحسن ما يكون في فضاء الارض ونقي هوائها الخالص. ولكي ندرسها بنجاح تام يلزم التشمير عن ساعد الجد في السعى اليها على الاقدام الامر المفيد المهم جداً في تهيئة الرجل للاستقلال العملي كما ان أجود ما يكون في درس التاريخ البشرى وعلم الآثار والعاديات إنما قد تهيأ لنا بالذهاب الى الجهات الاثرية وبين اطلال ودمن الآثار المختلفة كالمعابد القديمة والقلاع الى اشباه ذلك^(١) على ان في هذا العصر الذي قد تذهبت فيه الازهان لعمل السياحات والاسفار بعيدة الشقة كانت أم قريبة المنأى يعد ذلك الشاب الذي يخذ حياها الى القعود وعدم الحركة اكتفاء بالانكباب على الدرس والتحصيل من الكتب من أولئك البسطاء السذج بل ومن أهل العجز والضعف بين أولئك الشبان أهل النشاط وذوى الاقدام والقوة هذا فضلاً عما يكون معرضاً له من هذا شأنه من الشبان فيما يكون عرضة

(١) ما اكثر آثار بلادنا واشيائها التي تستحق الدرس ولكن ما أقل اهتمامناشتتنا بذلك من تلقاء نفسها اه معرب

له من المرض مما يجره عليه اخلاده الى السكون غالباً من الضعف وهزال البنية الذي قد يعجل به الى سكنى اللحد . ثم ولكي نجعل تلك « الآلة الطبيعية » من جسمنا دائماً نشيطة قوية فلا شيء أفيد لها وأحسن من الالعب الرياضية « الجمنسيتيك » ولا ريب ان رياضة صحية تعمل قبل تناول الطعام كل يوم بانتظام كما يجريه كثير من الناس قد تشبه كثيراً تلك الطقوس والرواتب الدينية ان لم يتخللها شيء من المسار فالذين لا يميلون ولا يرتاحون الى أمثال هذه الرياضة المنتظمة من الشبان خصوصاً تلزمهم الالعب الجيدة لكي يعطوا التمرين الضروري حتى يعطوا من ثم الجمعية البشرية من أنفسهم ما تشرطه لأعضائها من ثمين القوة وعليه يجب ان يسمح للاطفال والشبان باللعب بمثل لعبه « كريكت » (Cricket) أما كبار الشبان وأولئك الاشخاص الذين تقتضى اشغالهم كالتلاميذ الراحة وطول الجلوس فلا أحسن من تروضهم بلعب « الكرة »^(١) ثم ان اللعبة المعروفة عندنا باسكتلندة باسم « جواف » (Golf)

(١) ان مدارسنا تتجرى الآن على مثل ما يصنع الانكليز في هذه الرياضات المفيدة وحبذا لو كان لاصحاب الاعمال التي تقتضى الجلوس الطويل عندنا عناية بالتروض وتمرين الاعضاء وانشاء نوادى الالعب الرياضية اهـ. معرب

قد تناسب جميع الطبقات اذا كانت في الهواء الطلق النقي وأراني
 لست في حاجة الى القول بان ركوب « الزوارق » وتسييرها
 بالمجازيف واستعمال ذلك بالاعتدال من أفيد ما يكون من الرياضات
 والتمرينات التي يمتاز بها رجال الانكليز . أما استخدام ركوب
 السفن بالمهارة في تسييرها سواء بالشرع او بالمجداف على نحو
 ما هو مستعمل على شواطئ « شتلندة وهبريدة » فهو ضرب
 من الحرفة والمهنة التي تستخدم فيها قوة الرجل الكامل وخفة
 حركانه وليست هي في شيء من الرياضة المعتدلة . ولندكر الآن
 « الصيد » صيد البحر فان له لذة أخرى من حيث جلب الافكار
 اللذيذة والتأملات الشعرية الخيالية اللطيفة على مثال ما قد
 تظهره جيداً آراء وأقوال « والثون » (Walton) و « استودرات
 (Stoddart) والشهير « جون ويلسون » (John Wilson)
 وعندما يكون الوقت ممطراً فليس للتروض أحسن ولا الطف
 من لعب « البلياردو » فانه قد يفيد المرء خفة حركة وحداقة في
 اصابة الاغراض والمرامي بحساب ومهارة . أما العاب « الورق »
 فنلا تعادل لعبة البلياردو لان أحسن لعبة فيها وهي المعروفة
 « باليوست » لا فائدة فيها سوى تقوية الذاكرة . وأما « الشطرنج »

فليس من العاب التسلية في شيء لانه والدرس والسُّغل العقلي
سيان وفائدته قاصرة على استيقاف نظر العقل الكثير الملل
وقلة الثبات خصوصاً وقتاً ما ولكنه من اردأ انواع التسلية لذلك
الرجل المحنك المعتاد على قوة الفكر وثباته .

﴿ الفصل الثالث ﴾

(الطعام والشراب)

وليؤذن لي الآن ان ابدى بعض ملحوظات على أمر
وان كان من الأمور العادية البسيطة الا انه في الغالب قد اسيء
فهمه والتصرف فيه . وهذا الامر انما هو مسئلة « الطعام
والشراب » فلقد كان من عادة « ابرنثي » (Abernethy) ان يقول
هذا القول المأثور بل الحكمة الحكيمة وهو « ان العاملين الكبيرين
في أهلاك العالم هما الكحول وسوء الهضم » وهذه البلوة
الاخيرة ليست في شيء بالتحقيق فيما يعلم من ضعف الشبان
الاسكتلنديين العاجل لان ما قد يرى من حوادث الموت الباكر
مسبب هنا عن مخمصة البطون لا عن تخمها — ورب مخمصة
شر من التخم — فابدأ اولاً بان تناول من الطعام ما يكفيك ثم

إحرص بعد ذلك على ان لا تتناول الا الغذاء الجيد . فاذا ما اهتمت بذلك وأعتيت به وحصلت عليه فليكن لك بعد ذلك شأن مع الطبيب تستشير به وتسترشده كي يفصل لك ويعين ترتيب طعامك وانواعه على أنه كلما كان الطعام ابسط كلما كان أجود وأحسن ولقد دلتني الاختبار الطويل وتحقق عندي انه لا أفضل من الاعتياد على تناول صنفى « الجريش والحشاء » (١) لحفظ صحة العقل والبدن. ثم اننا مع التنبيه بلزوم جودة الطعام وكفايته ننصح بتجنب عيب آخر قد يقع فيه الانسان على الدوام وهو الخطأ في كيفية تناول الطعام إذ هناك في الناس فئة قد تخترق الحيلة بالخطى الواسع لا تعرف أن تقف بالعزم الثابت امام أى من الحاجات فهمي لذلك قد تزدرد طعامها ازدراداً يقصدان « تؤديه » الى احشائها بالسرعة وما اقبحها وأردأها من عادة مضرة بالجسد ضررها بالعقل ! إذ إن الذى يأكل بالسرعة قد يفقد في آن واحد لذة الطعام ومزية جودة الهضم . وانه وإن

١ قد لاحظ المترجم الفرنسوى انهما غذاآن غير كافين وللمؤلف عاداته واختياره على ان لنا نحن من انواع الاطعمة البلدية المصرية المغذية والمفيدة للصحة مايقى بالغرض الذى يرمى اليه المؤلف من ارادة التسهيل والبساطة فى الطعام الموجب لحفظ صحة الابدان اه معرب

يك أرباب الاعمال في الاوساط الكبيرة والمدن العظيمة ذات الحركة كما هو الشأن مثلاً عند الامريكيين الذين يعيشون على الدوام في مشارات وبيئات الحركة الديمقراطية مضطرين الى أمثال تلك الموائد القبيحة^(١) فان طلبه العلم وأرباب الوظائف غير فالتين أيضاً من خطر هذه الخصلة حتى ان الاشخاص المولعين بكثرة المطالعة والاشتغال بالعلم قد لا يكتبون بان يتناولوا طعامهم بالسرعة « ليخلصوا منه » ويعودوا باسرع ما يمكن الى الانكباب على ما هم بصدد من المطالعات والاعمال العلمية بل انهم قد يشطون في الامر لدرجة انهم لا تفوتهم المطالعة أيضاً عند تناول الطعام حاكين على طبيعتهم بان تؤدي لهم في وقت واحد وظيفتها في ذينك السبيلين المختلفين عمل الدماغ وعمل المعدة وما هم بذلك الا جالبين على الجانبين أشد الضرر. نعم ان تعاطي فنجان من الشاي وفي يد الانسان احد مؤلفات « لوسيان » Lucien أو « ارسطوفان » (Aristophane) يطالع فيه مما لا بأس به بل هو يمد من الحسن والمفيد جداً لكن تناول الطعام قضية اخرى مهمة ينبغي على المرء أن يكون تفرغه لها

١ يشاهد لها نظائر عند طوائف العمال في مصر اه معرب

كلّى الشأن قال «الكنشاير ثيرلوف» (Chancelier Thurlow) «ينبغي أن يتفرغ المرء لعمل واحد في وقت واحد» على أنه لا بأس ان تفكه الطعام بالسمر والحديث الشهي^(١) ان أمكنك أو ان تسمع عند تناوله موسيقى مطربة مفرحة كما لا تخرج في حديثك على المائدة ابداً الى الافكار العميقة ولا المسائل والقضايا العلمية العويصة وأقول بهذه المناسبة لله ما أحلى عادة الالمان والانكايير من تناول الطعام في الجماعات مما يفضل كثيراً شأن الطالب الاسكتلندي الفقير من تناول طعامه في غرفته بمفرده لكن قد اتيح الآن للكنيسة الحرة الاسكتلندية ان انشأت فيما انشأت من المنشآت الحسنة المعدة لراحة الطلبة اللاهوتين فيها مطعماً حسناً قد امتاز في آن واحد بجودة الموقع ورخص الثمن المأكولات وتصافي من يغشاه من الندماء واخوان الصفاء وإذا تقرر عندك هذا المبدأ في جنس الطعام وكيفية تناوله فتحرب بعد ذلك التنويع فيه لان هذا المبدأ الآخر له ميزته في فتح الشهية وانعاش النفس ألت ترى الطبيعة على ما فيها من غنى عظيم لتميج الاخذ بمنوال واحد؟ ولقد ترشدنا تلك

١ هو من شروط الادآب عندنا اه مررب

الحكمة العامية للعادة بان لا نستعبد امعائنا ونجبرها جبراً أعلى الصبر على الطعام الواحد والا افسدنا عليها لأقل سبب ولا صغر حادث نظام وترتيب ما تشتهي من الغذاء المؤلف لها فاذا أنت أبيت الا الجري على تلك العادة من قصر غذائك على طعام واحد بدعوى حب السلامة وحسن العيش فانك لتكون مجبراً مضطراً الى قصر مدة سفرك في هذه الدنيا وحاصراً للمجال وجودك ومسار نفسك ضمن دائرة ضيقة لا تحكم بها ضرورة من حيث ما ترجو النفع بالمداومة على الطعام الواحد. أما الشراب فلا خلاف في أن كأساً من الجملة الجيدة أو النبيذ الجيد ليس بالشيء غير المفيد^(١) بل هو قد يكون لازماً لمساعدة الهضم غير ان الشبان الاشداء الاصحاء قد يمكنهم ان يستغنوا عن أمثال هذه المفتحات أو المنبهات للشهية. وانه ليجدر الطالب الاسكتلندي الفقير أن يتجنب « مصروقاً » غير نافع ولا مفيد

١ هذا بحكم حال البلاد الباردة أما عندنا فلا خلاف في ضرر ذلك فضلاً من حرمة الا لضرورة وأعد ترى من قول المؤلف الآتي انه لا موجب حتى لمثل هذا بالنظر الى الشبان الأصحاء الاقوياء فليقفه أولئك الناس الذين يترامون ويتهافتون على المسكرات عندنا من « لوسكي » وغيره مما يضر بصحتنا في مثل طقس بلادنا الحارة وليعلموا انهم بادمائهم على الخمر انما يجرون البلاء على انفسهم من حيث ما يرجون « اللذة وحظ النفس الوقتي » ولقد نذهب « السكره » وتأتي « الفكرة والحسرة » اه معرب

ويبعد عن تبرج وبذخ خطر بامتناعه عن الشراب وتدخين
« التبغ » ولقد يقول المثل المشهور « الماء شراب طاهر ما أوجد
قط جناة » نعم ان تعاطي الوسكي قد يكون مفيداً في البقاع
الرطبة والاراضي المستنقعة أو على قمم مثل جبال « الهجلايد »
ذات الجلايد والثلوج ولكن قد يمكن القول بان الاعتياد على
تعاطيه لم يره قط قوى انساناً ولا جمل امراً فأمتنع عن تعاطي
الوسكي تر نفسك ويحقق لك انك غير هالك ولا ساقط في
مهوادة سحيقة وانك قد تجد بذلك دائماً في جيبيك ذخيرة مدخرة
تقدر ان تساعد بها عند سنوح الفرصة صديقاً لك أو تدبر بها
شأن نفسك عند الحاجة

❖ الفصل الرابع ❖

(تهوية المساكن)

لا يظهر لى شيء أكثر ضرورة ولزوما من تنبيه الشبان
وتحذيرهم من مخاطر المساكن المحكمة الغلق للنوافذ والفاسدة
التهوية اذ الهواء الفاسد لا يعطي قط دماً نقياً والدم الرديء

يردى جميع البدن والضرر الحاصل من ذلك هو أن تأثير اجتماع تلك الابخرة الفاسدة لا تبدو الا مع الزمن فالناس اللاهون والغير المكترئين لذلك - وأنى لأخشى أن يكونوا أكثر الناس - يستمرون غارقين في استنشاق ذلك غير شاعرين بانهم إنما يستنشقون سموما وأنه كلما كانت دائرة الخلطة والاجتماع على ذلك أسرق للنفوس واخذع للافتدة كلما كانت بلوى الضرر والخطر أقوى وأعظم . فلتكن لك عناية بفتح الكوى عند ما تخرج من محلك واذا كانت شبابيك غرفة النوم موضوعة بحيث انها لا يتجه منها تيار الهواء على النائم فلا تردد في فتحها ليل نهار في الصيف كما في الشتاء ففي بلادنا الاسكتلندية المنعشة الهواء قد تكون هذه العادة ليس فيها الا ما يفيد ولا يضر بالصحة أما في البلدان « الحارة » أو المدن التي قد أفسد جوها الليلي تصاعد تلك الابخرة الفاسدة السامة فالحال ربما اقتضى خلاف هذا الحال وعكسه .

﴿ الفصل الخامس ﴾

(نصائح في النوم وإراحة الابدان)

هل من ضرورة لالقاء كلمة نصيح فيما يتعلق بالنوم؛ لقد يظن أن كل نصيحة بهذا الصدد لا معنى لها ولا موجب اذ طبيعتنا نفسها فيما يظهر لنا من حالها قد تكفلت لنفسها بنفسها فيه فالمرء ينام حينما يغشاه النعاس ويستيقظ حينما تصيح «الديكة» أو تبدو تباشير الصباح بنورها الوضاح في الافق هذا ما في الباب وهو لعمر الحق حسن انما للامور الكثيرة والعوائد المسترذلة قد تعتاد طبيعتنا مما كسوة ومغالطة نفوسنا فيه بافانين شتى وهو ما يجعل هذا الحال الطبيعي لنا ضائعا وذاهبا سدى وهذا الحال واقع فيه على الخصوص المشتغلون بالدراسة وهم من اكبر الجناة فيه على انفسهم وابدانهم بل ان مهنتهم ذاتها من مقلقات الراحة اذا طالعوا نفوسهم فيها فمن ثم يخلق بالشبان أن يتخذوا اعظم الحيلة الواقية في هذا السبيل لشدة لزومها لراحتهم بمنع النفوس عن مجاوزة الحد في «السهرة» تهاونا وتهجما بحق هذه الراحة البدنية المقدس من النوم وكل منبه للدماغ كتعاطي القهوة الشديدة التأثير أو الشاي لمن اكبر الاعداء وشر الجنائيات

التي تعبت بالراحة وتطرد النوم فيجدد بك أن ترتب ساعات
عملك العقلي بحيث ان لا يسبق ساعة النوم مباشرة أشق عملك
العقلي بل ليكن آخر عمل نهارك أخفه وأقله مؤونه بل أجلبه
للكسل وادعاه للنعاس ولقد يفيدك أن تمشي ساعة قبل أن تأخذ
مضجك أو تتسامر بالحديث قبيله لحظة مع أحد رفاقك
وجملة القول انك لو تركت طبيعتك الحقيقية الى تولى شأنها
بنفسها في هذا الصدد لحصلت من تلقاء ذاتها أى بدون أية
واسطة اصطناعية على ما يناسبها من الراحة والنوم. أما المقدار
الكافي منه فذلك ممالا سبيل الى ضبط قواعده وانما يقال
بالاجمال انه ليتراوح بين الست أو الثماني ساعات في الحالة
الاستثنائية لطرفيه الادنى والاعلى بمحكم الاختبار العمومي المعهود
في هذا الشأن فالتلميذ الذي يتروض نحو الساعة يوميا ويستغل
في عمله العقلي بترتيب وانتظام ثماني أو تسع من الساعات قد
لا يلبث طويلا حتى يجد من نفسه المقدار المناسب للنوم وراحة
بدنه غير واقع في الارق ولا السامة والضجر بل والمرض الذي
قد تسببه اطالة السهر^(١) أما فيما يتعلق بعادة التبكير جدا في

١ ليفقه هذا من نصح المؤلف وحكمته أولئك الشبان عندنا ممن يطيلون
السهر لانفي الدرر بل فيما هو شر منه في جلب الضرر على صحة البدن اه م م ر

الاستيقاظ من النوم فليس عندي فيها الا اتفه ما يمكن أن يقال في مزيها ذلك بالنظر لانى لم اكن لأقدر أن أمارس هذه الفضيلة وختها الجميلة من التبكير كبكور الغراب على انى لست أشك مع ذلك قط في فائدة هذه الخلة صحيا متى ما جاءت بطبيعتها عفواً بلا تكلف ولقد يظهر لى في بعض الاحوال ان عادة المأسوف عليه «البارون بونسن» (Baron Bunsen) الشهير اذ كانت أعماله المختلفة وشؤون أشغاله العادية تستغرق عنده ساعات النهار فمن ثم كان يختار للأعمال الهامة والافكار العميقة سويعات الصباح الاولي انها لهى القدوة الحسنة والطريقة المثلى لكل من يريد اجتناء الفوائد من وراء التمسك بهذه العادة الجميلة والخلة الكريمة خلة التبكير في الصباح

﴿ الفصل السادس ﴾

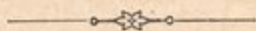
(الاستحمام والاستشفاء بالمياه الباردة)

انى بالنظر الى الاستحمام واستعمال حمامات المياه الباردة فيما يتعلق بها من الوجهة الصحية ليمكنى أن اتكلم بكل ثقة لأنى قد اخطرت بنفسى بما فيه الكفاية عدة من أماكن هذه الحمامات

الشهيرة وأمتحنت طريقها النظرية والعملية فرأيت أن ما
 يطنطنون به من الاسماء مبالغ فيه بقصد التخميم لان الطريقة
 المتبعه ليست الا عبارة عن خليط من التمرينات البدنية المرتبة
 ثم للترام شيء من الراحة والحمية وقضاء الاوقات في اللهو
 والاجتماعات السارة ثم اخيراً الاستحمام بالمياه المحضرة أو استعمال
 ذلك بها مما من شأنه افادة الجسد وتنبيه البشرة وكل انسان
 يمكنه أن يلاحظ أن جميع المؤثرات من هذا القبيل لها فوائد لها
 الجلي صحيا في الجسم متى واظب الانسان على استعمالها فن ثم يجدر
 بالشبان أن يعلموا ان شطراً مهما من طريقة هذه المعالجة الصحية
 الكثيرة النفقة في تلك الاماكن المعدة لها تحت ملاحظة اطباء
 الاختصاصيين قد يمكن أن تندمج في سلك رواتب أعمالهم الحيوية
 اليومية بدون أن يتكافوا لها النفقات والمصاريف الباهظة
 فالاستحمام يوميا في الصباح بالانتظام قد يأتي بأجل الثمار لتقوية
 الابدان الا اذا كانت البنية على جانب من الضعف عظيم .
 واذا تعذر وجود المقدار الكافي من الماء لهذا المطلب لديك
 فلا استعاضة عنه بقطعة من القماش تغط في الماء الموجود ويدلك
 بها الجسد قد تأتي بنفس الثمرة والفائدة المطلوبة وطريقة

الاستعمال هي أن يلف المرء في يده قطعة القماش ويغطيها في الماء ثم يعصرها عصرًا خفيفًا ثم يدلك بها جسمه ذلكا ثم يعيد العمل بقطعة قماش أخرى جافة للتنشيف ولكي تأتي برد الفعل المفيد وتعود إلى الجسد حركته وهذا العمل يمد من أعظم وأفيد الأعمال الصحية والاحتياطات المفيدة بالنظر إلى الأمراض الجلدية المختلفة التي يتعرض لها سكان أقاليمنا الشمالية المتقلبة الطقس على أن استعمال القماش المبلل في الماء البارد هو من بين وسائل الاستشفاء بالمياه الباردة ليفعل فعل «لزقات» الخردل الخفيفة مع شموله لسوم البدن هذا ولقد يمكن استعمال حمامات المياه الباردة في بعض أحوال أخرى خصوصية ولكن يرجع فيها إلى أمر الأطباء واستشارة الخبيرين. ثم إن فائدة هذه الطريقة في الاستشفاء وراحة الأبدان وتنظيفها لا تكون على تمام جودتها ككل وسائل العلاج بالمياه الباردة إلا إذا كان البدن قويا وهذه القوة قد يمكن الحصول عليها فيما إذا كان الجسد من أصل تركيبه ضعيفا ضعفاً غير قاطع بواسطة التمرين العضلي والتروض في الهواء الطلق أما أصحاب تلك الأمراض الضعيفة المستغرقة في الضعف فينبغي لهم أن يتوقوا أمثال هذه الأشياء

ولا يستعملوا تلك الوسائل الا بكل حذر وعلى حسب أمر الاطباء
الاختصاصيين حتى لا يقعوا في الضرر من حيث قد يرجون النفع

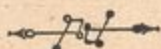


﴿ الفصل السابع ﴾

(كبح جماح الشهوة)

إن مما أضيفه هنا فيما يتعلق بصحة الابدان يرتبط بأمر
آخر منها لانه لا يكفي فقط ان يعتنى المرء بأمر معدته
واستصلاح حال طعامه وشرابه حتى يكون على جانب من
صحة البدن إذ الجسم ذلك الهيكل اللطيف الذي يحمل وقر
الحياة البشرية الدقيقة كالدابة يعمل بمعاونة وموازرة سلطان
العقل والعقل في حد ذاته هو كتلك القوة المحركة وبما ان
البخار في الآلة البخارية قد يمكن بسبب الغلط في العمل المنتظم
للالآلة ان يكسر تلك الآلة ويمزقها أرباطارات وادوات ويفسد
كل قطعها التي كانت بعد ملتزمة متلاصقة باحكام وترتيب كذلك
وظائف جسم الانسان بالنسبة الى العقل فانه مالم يكن للمرء
ثم ارادة قوية مثقفة تراقب حركاته وسكناته وتوقف النفس

عند الحدود وتكبح جماح شهواتها لا يكون للمرء قط حظ من الحياة المنتظمة الرشيدة السالمة من العطب الآمنة من الآفات لان كل القوى الطبيعية للجسم الانساني لسريعة الزيفان والهياج والتوقان بل والميل الى الانحلال متى مازاغت مرة ووجدت سبيل الاستقواء والعصيان على ما يسميه الحكيم افلاطون « سلطان العقل » فلجودة توافق العواطف وانتظام أمرها وسلاسة قيادها اتصال كبير بوظائف الهيكل الجسماني ووقايته فاذا وفق المرء لان يكون بمأمن من غوايات عمياء صماء للرأس والارادة سهل عليه ان يحزم ويتوقى ثوران نفسه واضطراب قلبه باستعمال أمور هذا العضو الحيوية في غير أوانها فاذا أردت ان تكون صحيحا في بدنك فكن خيرا، واذا شئت ان تكون خيرا فكن حكيما عاقلا، وإذا أحببت ان تأتي الحكمة من أبوابها فكن ديناً، ولقد قيل « رأس الحكمة مخافة الله تعالى » ومنغزى هذا القول ونحوه في التهذيب النفسى هو مبنى المقالة التالية فى التربية النفسية .



المقالة الثالثة

التربية النفسية

« انه لمن أعظم الجهاد بل وأعظم »
« ماتصوره فيه ان يجعل المرء من »
« نفسه إما إنساناً خيراً واما »
« امرءاً شريراً »
« افلاطون »

الفصل الاول

(العظمة بالفضيلة وتحلية النفس بالاخلاق الكريمة)^(١)

ها نحن قد وصلنا بهذه المقالة الأخيرة الى أم المقالات
الثلاثة المتعلقة بالتربية لان الانسان في تميزته الأدبية ليجد
مبدأ تلك الحركة أو القوة المنظمة لحاله. بل ليجد ذلك السلطان
العظيم القاهر الذي يسود به آلة جسمه كله . فرفعة الحالة

(١) ترى تفصيل ما يرمى اليه المؤلف في هذا الفصل وغيره من فصول هذه
المقالة في اسفارنا العربية الاخلاقية وفيها من حيث ما يتعلق بما يريد المؤلف هنا
خصوصاً من ان لا العلم ولا الجاه ولا قوة البطش والسلطان بالتى يساوى أحدها
تحلية النفس بالفضيلة والتمسك تمسك فعل بالاخلاق المرضية الجميلة ٥١ مغرب

الادبية النفسانية والصفات الخليقة في المرء هي بالحق ما ينظر
 اليه كأهم وألزم ما يكون ويحتاج اليه لبلوغ الشأ والعالي والعظمة
 الانسانية على الحقيقة والكمال ، فأى امرى قد يمكن ويجوز
 ان يكون عظيم الجاه جليل الذكاء كبير العقل واسع العلم الى
 اشباه ذلك مما تشاء من أوصاف العظمة وخلال الظهور ولكنه
 مالم يكن اخير في نفسه الطيب في خلقه فلا يكون ذاقمة
 ماحتى ولو ظهر انه قد وصل الى أسمى ما يكون من المقامات
 الرفيعة الدنيوية فلن يكون هذا الرقى العجيب الا ظلا زائلا
 وزهوراً باطلا وما « نابليون » في عظمته فيما أتى من غريب
 الفخار باختر اقه القارة الأوروية وتدويخه اياها بالفتح الا شهر
 مثال لما قد تمنح يد العناية بعض الناس من قوة فائقة بالرغم عن
 خلوهم وبجردهم من صفات العظمة الحقيقية النفسانية ولولم
 يلاحظ جيداً في هذا الرجل أنه كان بطبعه مانسميه نحن بالرجل
 الشرير لكثرة ما قام به من الفتوحات والغزوات على انه بالرغم
 عن ذلك فانه لم يعط اى برهان فعلى على شرف العواطف ونباله
 المقاصد وعفة النفس^(١) فهو من هذه الوجهة قد عاش وقد

(١) ان ما يرى به نابليون يونانيرت خصوصاً للذى حصل منه بحق زوجته

مات في نظر الآداب الصحيحة فقيراً حقيراً لتجرده من
خلالها الكريمة وصفاتها الغالية القيمة

وليس الفاتحون وكبار رجال الحكومات ومشاهير أهل
السلطة هم وحدهم الذين قد تتابهم النقائص الأدبية النفسانية
فتحرمهم نوال العظمة الحقيقية بل هي قد يقع في مهاوئها ومهلكاتها
اساطين العلم وأهل الجاه ورجال الدين وفحول الأدب والشعر
قال «هارتلي» (Hartley) «ليس من شيء قد يفوق الكبرياء
والادعاء والعجرفة والحسد فيما يفسد من حال كبار الاساتذة
ويثلم من شرف فطاحل العلماء في العلوم والفلسفة والرياضيات
بل وفي العلوم الدينية نفسها» وليس في هذا القول ما يوجب
العجب والاستغراب إذ إن الاخلاق الأدبية العظيمة والصفات
الكريمة تقتضى فيما يجب من تحصيلها تحصيل عمل للتحلى بها
على اكمل وجه مزاوله خاصة عملية وشهوات نفوسنا هي كتلك
الرياح نفسها تستعصى محاول كل ضبط وافعالنا ليست الامظاهر
شهواتنا فينتج من هذا ان تهذيب النفس ليس قط بالامر

الامبراطوره جوزفين وطلاقها وتزوجه بأخرى الى اشياء ذلك مما ينتقده عليه
فوق غاراته الشمواء اه معرب

الهيئ اللين^(١) فمن هذا الشأن الكبير ترى ان لها من الصعوبة والاهمية والمقام الرفيع ما لها فيجب أن تتحرى وتحصل باكبر الهمة وأقصى العزيمة وأمضاها بل وبأجل وأشرف ما ترمى اليه وسائل الرقى الادبي التي يلزم أن تنتهي اليها وتحقق بها شرف غاية الوجود البشري وسمو مكانة الكينونة الانسانية فلقد سهل على « بيرون » (Byron) أن يكون شاعراً مطلقاً اذ قد كان يكفيه لذلك أن يستسلم لطبعه أو قريحته الشعرية التي كان يخلق بها أو تخلق به في جو الخيال العالي كالنسر حين يعلو القبة الزرقاء أما تذليل نفسه غير المهذبة وتلطيف خلقه اللفظ الغليظ وتربية نفسه وتدريبها حتى يكون رجلاً ذا ظرف ودمائة اخلاق فهذا ما كان يصعب عليه ويعسر أمره معه جداً ولم يفتكر أن يعود نفسه ويربها تربية صحيحة فمن ثم لم ينل بالرغم عن توقد ذهنه وقوة عارضة بل وبالرغم عن علو منازعه الشعرية وسمو معانيه ورشاقة مبانيه في النهاية غير سقوط ذاتي شأن وفي هذا منتهى العبرة واكبر العظات لكل من يريد أن

(١) لله در البوصيري حيث قال في البردة

من لي يرد جناح من غوايتها - كما يرد جناح الخيل باللجم

يتلقى العلم ويدعى الادب ويهمل شأن تهذيب نفسه^(١) وهناك اسم شهير شهرة الاعلام تملوها النيران فيما هو من هذا القبيل من حيث انشلام الشرف والصيت لدي بعض كبار العقول وعظماء الرجال لداعي نقصهم الادبي الذاتي عن الكمال الواجب لامثالهم الا وهو اسم المؤلف « ولترسفاج لندور » (Walter Savage Landor) الذي ملك قياد الانشاء العالى بما لم تظفر لغتنا الانكليزية بكثير مثله ولكنه قد كان وبالأسف كثير التجبر عظيم الطغيان شرس الاخلاق مما جعله بالرغم عن كبير فصاحته وعظيم ذلاقتة وسمو قلمه يعيش دائماً بحالة شبيهة بالهوس والجنون . فلكي يأمن كل منا على سفينة حياته من الفرق في سفرته في هذا العالم . يجب علينا أن ننقش ونسطر على صحيفة أفئدتنا قبل كل شيء . هذه الحقيقة من الآيات التوراتية « ان شيئاً واحداً هو ضرورى لنا » فاذا كان الدرهم ليس هو ذلك الشيء الضرورى جداً وكذلك لا الفخار ولا المجد ولا الحرية ولا الصحة ليس واحد منها بالضرورى جداً فذلك الشيء اذاً انما هو بالتحقيق « حسن الخلق » وبعبارة اخرى

(١) ما اكثر شواهد هذا عندنا اه معرب

الارادة الانسانية المزللة المهذبة فهذا هو الكهف الحقيقي الذى
ياوى اليه الانسان بهذا الصدد الحيوى الكريم ليأمن من كل
جانب وبصدد كل المطالب زعازع الحياة وينجو من كل المخاوف
والمخذورات أو على الأقل لا يكون عرضة للعقاب الادبى
والحسى . ولا سبيل لاحد أن يغالط فى هذا السبيل ويعطل
شأنه فيه بوقاحة ومغالطة للوجدان قائلا انى وان لم أستفد
قط من الصلاح فاني لم أرني تقهقرت أبداً فيما انتهجه من
النهج الخلقى فهذا قول هراء اذ التقهقر لا بد وأن يتحقق لمن
هذه خصاله لان عاطفة الاخلاص وروح الفضيلة والخير
فيه متى ما هجرت بالمرّة ذبلت فمن ثم تضيق سبل الحياة
وتعرقل امورها بل وتنتهى بان تكون ظلا ذائلا وأمراً تافها
بصرف النظر أحيانا عن ظاهر المظاهر فلنقو اذن عزائمنا
ولنثبت أقدامنا فالله تعالى قد وهبنا فضلا عظيما بالحياة الابدية
فلنعرف كيف نقدر هذه النعمة قدرها بالعيش فى الدنيا شرفاء
فضلاء حتى نحظى فى الآخرة بنعيم مقيم (ونفس وما سواها قد
أفلق من زكاتها وقد خاب من دساها)

﴿ الفصل الثاني ﴾

(الاعتقاد بالله وثمرته)

انه ليحسن بي قبل أن ادخل في تفاصيل هذا الباب من أدب النفس أن ابين بجملة يسيرة ماهى العلاقة التى تربط بين هذا الادب والتقوى تلك العلاقة التى لم تفسر دائماً ولم تفهم على حقيقتها تماماً فأقول : انه ليوجد مذهب اخلاقى انكائزى مشتق من آراء « بنثام » (Bentham) الذى اختط خطة فى الآداب والاخلاق بدون النفقات ولا اعتداد بأمر الدين، فهذا المذهب أو المبدأ أقل ما فيه ويوصف به أنه « تطلق » بل انسلاخ عن الامر الطبيعي للبشر بل هو رمز ودلالة بينة على الحقارة وصغر النفس والنقص فى العقل لدى اولئك الذين يتسكون بهذه المذاهب الالحادية ويحاجون عنها ويدافعون مدافعة، نعم لست انكر ان حكيماً من ذوى العقول هو الحكيم « ابيكوريوس » (Epicure) ذلك الشيخ اليونانى الشهير لما لم يكن بالمطلع تماماً ولا بالواقف تمام الوقوف على حقيقة سر هذا الوجود وكان رجلاً مقداماً فلم يقدر أن يسلك سبيل المؤمنين ويعترف بالخالق جل شأنه فلذلك قال ما قال عما كان يظنه ويخمنه

في تعليلاته من أن هذا الكون الجميل ماهو الا نتيجة تفاعل
 قسرى لذرات المادة العمياء ، على انه لمن المحقق جيداً انه ليوجد
 في زماننا هذا اناس قد لا يفضلونه كثيراً في تلك الفضيلة الايمانية
 واعني بهم اولئك الذين يعلقون آرائهم ويبنون أقوالهم ومعتقداتهم
 على التشبث بالنواميس الطبيعية وتسلسل الحوادث الدهرية
 والقول بحاجـن «الصدف» فيما حصل من تناسب الظروف
 الظاهرية الى اشباه ذلك من مقعرات الفاظهم التي يتوهمون
 انهم يعملون بها نظام العالم بدون احتياج ولا تكلف لانتداب
 العقل الرشيد وتوسيط الوجدان الصحيح في معرفة اسرار
 الخلق وحكمة الخالق تعالى علوا كبيرا عما يقول المبطلون ،
 فأدب وتعايم يبني على هذا لا يقع في مثل أحوالنا بالنسبة الى
 النفس السليمة موقع القبول والتسليم لنقصه عن الكمال وخروجه
 عن حد الاعتدال وبشاعته ، فمثل الملحد والمعطل كمثل ذلك
 الوطني الانكليزي المستقيم يدفع ما عليه من الاموال الاميرية
 بغاية الدقة ويؤدي ما عليه من الخدمة بغاية الاخلاص وبذود
 عن الاوطان بكل قواه ولكنه يأبى أن يرفع قبعته امام (الملكة)
 (يريد المأسوف عليها فكتوريا ملكة الانكليز السالفة) فنحن

مع عدم وصفنا لمن هذا شأنه بأوصاف الخونة واهل العصيان
أفترانا لا تشعر بالنسبة الى حاله بالاحتقار والازدراء لامرئ
بهذا المقدار عبد للاهواء ومجرد عن محاسن الاذواق؟ هكذا
يكون الحال مع اولئك الزنادقة والملحدين سواء كان الخادم
نظرياً أو عملياً فإمام في الغالب الا أصحاب أوهام واهواء بدع
وبضائع مزجاة من الافكار الفاسدة الزائفة وقد ينسجون بها
خيوطاً من الذهب والحريز المبرقش يعقلون بها أنفسهم فهم
« آلة » للتفكير ولكنها مجردة البتة عن كل عاطفة شريفة
فأفقهم العقلي — ان صح لي أن اصفه بهذا — ما هو الا من
رصاص لا حرارة فيه ولا نور له يصرفون فؤادهم ويبدلون
مجهودهم لسد وتأيد ضعف ما تشبثوا به من تافه المعرفة ومأم
في الحقيقة الامتخبطون فيما يتخبطون فيه من محسوساتهم
ومعلوماتهم الراجعة الى المحسوسات مما قد يدخل تحت الاحاطة
والشرح والحساب والتفصيل غير ان هناك شيئاً قد يفلت
بل يعظم ويشرف أن يقع تحت منظارهم أو تحيط به خزعبلاتهم
وهذا الشيء هو الحياة بمعناها الحقيقي وسرها الصحيح من بديع
حكمة الخالق وما لله تعالى من أسرار في الوجود فجعل هذه

الذات القدسية العلية وآيات ربنا البيّنات في الكون هو كارادة
تمشية الآلة البخارية اختراع «جمنس وط» (James Watt)
بلا بخار بل هو من قبيل السعي في جر المياه الصافية الى مدينة
عظيمة بواسطة بذل المساعي في اقامة القنوات والمجاري مع عدم
تحقق أو ارادة معرفة مصدر تلك المياه ونبعها الصافي انزال
الذي يمدّها بجريانه ويسقيها بمياهه العظيمة . بل هو قصر في
النظر ووقوف دون تحقق ذلك الشيء الذي كل شيء يصدر
عنه ويبرز عن عالي حكمته فهو كاختيار جسد بلا رأس ،
وجملة القول أن مصدر كل أدب عالي وخلق نفسي كريم هو
في ذلك الشعور الباطني الشريف الاعتقاد بالله والايمان به
وبما جاء عنه تعالى مصدر كل خير وخالق كل شيء (قل الله
ثم ذرهم في خوضهم يلعبون)

﴿ الفصل الثالث ﴾

(وجوب التخلق بالفضيلة منذ الصغر)

اني اريد الآن بعد هذا البيان في الاعتقاد مما هو أساس
كل خير أدبي ونفسي أن ابين بعض هاتيك الفضائل التي

مزاوتها وتحرى خلالها يجب أن يكون من أول ما ينشده ويتحلى به أبناء الشبيبة منذ ذلك العهد اذا رغبوا أن يستعملوا حياتهم ويستخدموا تلك الموهبة الالهية العظيمة منها في أجل واجمل ، يلزم أن تستعمل فيه إذ إن كل نظرة وكل حادثة نحيط بها من حوادث هذا العالم التي نمارسها منذ الصغر إما أن تجعلنا ننال الفخر ونكسب الظفر العظيم في الحياة وإما أن توجب علينا التقهقر والهزيمة الفاضحة في ذلك الجهاد العظيم لان الازهار لا تبرز الا في زمن الربيع وهناك فضائل قد يتلاشي حالها وتضيع ثمارها اذا لم تتأصل في النفوس منذ عهد الصبا وتغرس اصولها من زمن الفتوة فهي ان لم تعالج وتعتاد من وقت ربيع العمر وغضاضة السن لا تورق ولا تزهر الازهار العظمية وتأتي بالثمار اليانعة قط فاطبة في الايام اللاحقة من العمر

﴿ الفصل الرابع ﴾

(الطاعة)

واول هذه الفضائل « الطاعة » فلقد يتكلم الناس الآن ويخبطون خبط عشواء فيما يسمونه « الحرية » ولا ريب ان

الحرية هي أئمن وأنفس ما منح الانسان من المواهب وانها لمن أعلى ما يتغالى فيه عند ذوى النهى والبصائر بلاشك، لكن يجب أن نفهم أولاً المعنى الصحيح للفظه الحرية . فمعنى الحرية بكل بساطة هي ان يستعمل المرء ارادته الطبيعية بدون مانع قصدى أو اصطناعي قهرى فالحرية بهذا الاعتبار من اكبر النعم بلا نزاع ولا تحاش فى القول ولكنها بالنسبة لحالة الاجتماع البشرى قد لا تعدى بالانسان ولا تطوح به بعيدا فى مهمة الحياة بل هي بالعكس قد تحتط له خطته وترسم له نهجه وبعبارة اخرى تزيه دوره على مرسى الحياة العملية ولكنها لا تلقنه لاما يحكي ولا ما يصنع فى تضاعيف هذا الدور الذى يلعبه فن هنا جاءت التكاليف والحدود وصار كل عمله ينتهى الى سلسلة من حدود وتكاليف لا الى الحرية على حسب ما يرتأى بها المتخبطون فكل قاعدة من قواعد الاجتماع وكل تكليف من تكاليف العمران هي حد للانسان يقف عنده وبالتالي هي توجيه هدى العقل الى خطة مرسومة فى الحياة والسلوك ليست غالباً بالتى تقع بالاختيار او من تلقاء نفسها اعتبارا بل هي لتكون على وجه العموم مما يضطر لها الانسان اضطرراً ويساق اليها بواسطة نظام

الهيئة الاجتماعية ولمصلحة الجمعية البشرية سوقاً فمن ثم ينتج منا اننا اذا اردنا ان نكون الجديرين باستحقاق العضوية الكريمة في تلك الهيئة مهما يكن من حيثيتنا الوجودية فيها إنما يكون ذلك بالقيام بما يجب علينا اولاً القيام به من سياسة النفس بتعليمها الطاعة والانقياد للنظام ، فالشريعة ونظام الجندية والدين والخدمات العمومية والواجبات التي اشتباه ذلك من امور الحياة البشرية والاعمال اية كانت تلك الواجبات ليست الا صوراً ومظاهر تؤيد هذا المبدأ وتبرهن على عظيم أهميته وصحته ، نعم من المحقق ان المرء ليبقى في دائرة امره الخصوصي مالكا تمام حريته واستقلاله لان حرمانه من هذه الحرية قد يجعله كآلة صماء تخرجه عن صفة الآدمية لكن في غير هذه الدائرة وبالتالي ما دام عضواً للهيئة الاجتماعية فهو لا سبيل له للتخلص والفلت من تكاليفها وروابطها التي تربط بالحق بين الافراد وتجعلهم هيئة مركبة بما لانهاية له . وكلما كانت تلك الهيئة ارقى في سلم المدنية كلما عظمت ودقت تلك الارتباطات فيها بما يمكن ان يضرب عنه المثل بحال «البابا» الذي يرى نفسه بالنظر الى وظيفته «رقيق الأرقاء» او «خادم الخدمة» ولاغشرو

فان الرأس في جسم الانسان ليخضع لتواميس ومهام حيوية للبدن
 قد لا تقوم بها الارجل ولكل عضو وظيفته وفي طاعة الاعضاء
 البدنية لوظائفها عبرة وفي قيامها بواجبها وقاية للبدن عظة
 كذلك في طاعة اعضاء الجمعية البشرية لوظائفهم سلامة لها من
 العطب ولقد شرح أمر الطاعة بولس الرسول أيما شرح بما
 يعهد فيه من قوة وسلطة فاذا رأيت من نفسك النزوع الى
 الى المخالفة وعدم استصحاب الطاعة لما هو من تمام وظيفتك
 الطبيعية في الهيئة الاجتماعية فاني انصح لك باخلاص أن تقرأ
 ما جاء في أمر الطاعة وضرورة استصحابها وفضلها في الآيات
 والاحاديث والآداب— كما وليقرأ المسيحي الاصحاح الثاني عشر
 من رسالة بولس الرسول الاولى الى الكورنثيين . وجملة القول
 ان كل حركة الى العصيان أو عدم مراعاة النظام قد تفتح ثلثة
 للوصمة والعار وربما اتسع الخرق من جرائرها في الهيئة وأدى
 بها الى الفوضى — ولا يصلح الناس فوضى — هذا ولقد عد
 المؤرخ اللاتيني من حسنات « هنيبال » (Annibal) القائد
 القرطاجني الشهير ان من أعظم صفات ذلك الرجل العظيم التي
 أهلتها لما نال من ظفر على الاعداء وصيث كبير انما كان لمعرفته

كيف يستصحب الطاعة كما كان يحسن القيادة والامارة، نعم ان الطاعة والقيادة شيان يتضادان غير أن اولاهما مع ذلك تعد أحسن وسيلة واجمل واسطة لتعلم ونوال الثانية، وان ذلك الذي لم يعرف قط الا أن يأمر وينهي ليجهل بالتحقيق وعلى وجه التمام تلك الحدود التي تحد السلطة وتهيئها للغاية مما هو من أكبر مصلحة السلطة نفسها. فزاولوا أيها الشبان اذاً تلك الفضيلة الرومانية القديمة من الطاعة والانقياد بل لتكن ممارستكم لها بنسبة أنها من أهم وأحسن ما تستفيدونه في سنى شيببتكم. أدوا أوامر رؤسائكم بكل هممة ونشاط لانها أوامر رئيس بل انى أقول أجروها بكل دقة إذ ذلك خير لكم ولا شىء فى الحقيقة قد يوجب محبتكم ويرفع منزلتكم عند ذوى الشأن فى أعمالكم مثل السرعة وبذل الهممة والدقة فى انجاز ما يبط بكم من الاشغال والاعمال وهل فى ذلك شىء خارج عن الحد الطبيعى؟ كلا ثم كلا وما فى الدقة التى يجرى بها المرء كل عمل له على أتم وجه الا ذلك الحظ العظيم والشأن المنتظم المتناسب فى حياة نفس آلة جسمنا، فى دقيق امور الحياة الاجتماعية كذلك قد لا يساوى كبر العقل ولا ذكاء الفؤاد

شأن الطاعة وأمرها المهم اذا جعل هذا يتقلص ظله ويتلاشى من النفوس فهو مثل الساعة التي بدأت تسير بغير انتظام أتراها تفيد الانسان في معرفة أوقاته الثمينة ؟ فاذا كان العمل الذي تزاوله انت من اهم ما يرتبط بعمل انسان آخر فأنت كالساعة معه فهو يعتمد عليك ويثق في شأنه بك أفتراه يسر الا اذا كنت منتظما معه ؟ خير ما يمكن أن يمدح به امرؤ ارتبط كعضو في الهيئة الاجتماعية وفي أى من الاعمال خصوصاً هو هذا القول المأثور في مدح ذى الهمة ورب النشاط والاجتهاد فيما يناط به من عمل « هذا انسان يعمل دائماً كل ما يطلب منه وأنه ليحضر في الوقت الذي يكون حضوره فيه واجباً »

﴿ الفصل الخامس ﴾

(الصدق)

وثانى الفضائل التي اوصى الشاب بها ويجب عليه ممارستها بعناية كبيرة « الصدق » وأنى لأقول بما قال وأبان عنه « افلاطون » من ان الكذب هو أخس الخصال لدى الاله والناس أجمعين ، على أن أبناء الشيبية على الخصوص ليميلون

بطبيعة الحال وحكم السن الى الصدق والاخلاص لكن لما قد يطرأ عليهم ويعتريهم في مجريات الحوادث من الخوف أو العجب الى اشباه ذلك من المؤثرات الكثيرة أو جر المنافع قد يتمكن كل هذا من نزع تلك الخلقة من نفوسهم أو يقهرها ويخفيها حتى انها لتتلاشي فيما بعد وتمحى من النفس البشرية كل قوة وكل كفاءة في الصدق ولقد قال العالم « جون استيوارت ميل (John Stuart Mill) في إحدى رسائله السياسية الانتقادية موجهاً الخطاب الى العمال الانكايير واصفاً اياهم بأنهم « من الكذبة ولكنه بعد هذا الذم مدحهم بقوله « ولكنهم ربما كانوا اكثر من عمال باقي الممالك الاخرى استحياء وخجلاً في السر من هذه الرذيلة التي بقترفونها »^(١) فيجب على الشاب من أول خطوة يخطوها في سبيل الحياة العملية أن يرسخ في ذهنه ويجعل نصب عينيه انه عايش في وسط من هذا العالم حقايقه الظاهرة قد يخالف الكثير منها ما بطن وأنه يلزمه مع هذا التحقق الذهني ان يجتهد هو ويبذل كل جهده في سره بصفته عضواً من الجمعية البشرية حتى تكون حقيقته الباطنة لا يخالف ظاهر امره وان

(١) ان شيوع هذا الحال عندما اشهر من ان يذكر مع انه من انكر المنكرات في آدابنا الاسلامية اه معرب

تكون خيراً من هذا الظاهر لا بالعكس وفي الحكمة اليونانية القديمة الجارية مجرى المثل « لا ينبغي قط ان تتظاهر بالخير ولكن يجب ان تكون خيراً، فأى أمرىء يجتهد في ان يكون حاله الظاهري في مهما كان من الامور بما ليس له في الحقيقة من حقيقة في باطنه ووجد انه فهو الكاذب الدعى المرائى المداهن وهذا حال قد يجز عليه بمض النفع والفائدة الوقتية في بعض الاحوال الظاهرية فيتخلص به مما قد يتورط فيه من الشؤون الكاذبة ولكن لا يلبث حتى تكشف تلك الحال منه وينتقص بها وتذهب ربح مظهره كما يحدث لطبقة الطلاب من الفضة التي يطلى بها النحاس ولن يساوى المعدن الزائف الذهب الخالص في المعاملة في هذه الحياة الدنيا فضع هذا النصيح بين عينيك وأعمل به جهدك

أما الاسباب الحاملة على تحمل هذا الحال والتخلص به على قبحه في بعض الناس من الكذب والخداع في الهيئة الاجتماعية فجمة فذوى الاعمال قد يحملهم عليه توهم الكسب والطمع في نوال الارباح أما عند أولئك الشبان الذين اليهم يوجه كلامى الآن فما يحملهم على ذلك في الغالب سوى الكسل أو الادعاء

أو الخوف وهي خصال ذميمة يجب عليهم مقاومتها واطراحها من وراء الظهور بكل يقظة وعناية حتى لا تأخذ من نفوسهم مأخذها السيء،

فالكسالى قد لا يوجدون على قدم الاستعداد لكل ما يطلب منهم فالتخلص من عار تلك الوصمة يستعملون عادة الكذب والخديعة على وجه العموم مثال ذلك التلميذ الذي يأمره المعلم بأن يشرح له اشياء بالانغة اللاتينية أو اليونانية فبدلاً من أن يكون حافظاً مستحضرآ لها في ذهنه كرهبة الاستاذ يجاوب عنها من ورقة يدسها خفية في أحد الكتب مما يكون امامه فيحكي منها ما شاء المعلم وما شاء المدرس ، أليس هذا من اكبر الكذب؟ يريد الاستاذ ان يكون تلميذه حافظاً مستظهر الدرسه ويؤدي الكسل بهذا الى الاستعانة بالورق غاشاً كاذباً على المعلم فيما ضرره عائد عليه نفسه في عدم حفظه وبذل اجتهاده فيه ، فكل عمل وشغل يعمل بالتهاون والنقص والتكاف ما هو في الحقيقة الا كذب وخداع يجب على المرء أن ينجب من آتيانه أما الادعاء فهو شر مصدر آخر للكذب والخداع فان رغبة الظهور امام الاعين بالمظهر العالى قد يحمل أولئك الشبان

الغير المزودين بالاختبار والمعرفة الصحيحة الى ادعاء المعرفة
 باكثر مما هم متحلون به منها حقيقة فلماذا قد يتعودون على التشبث
 بالظهور بما لا يستحقون من المظاهر بملابسة هيئات وحركات
 واقوال يوثرون بها تأثيراً كاذباً على الغير ليعتد بهم ويحسبهم
 على شيء . فأنصح لك أيها الشاب انه يلزمك منذ حداثة عهدك
 ان تقر وتعترف بما تجهل وما لا تعلم بكل بساطة وانك بهذا
 لتفوز على طول المدى وتربح منها أيماً ربح^(١) وبعبارة اخرى
 اقول لك ان مانعمل من ضروب الحيلة وانواع التصنع لأخفاء
 العيوب والنقائص التي لنا على الغير قد يؤدي الحال بنا فيها انها
 قد تخفى على أعيننا نحن ذاتنا وفي هذا ما فيه من الضرر والشر على
 الانسان إذ قد يعتاد المرء بتشبهه وعناده الا ان يظهر بمظهر
 الكذب والادعاء في كل حياته ان يسلبه ذلك الصدق ويضيع
 عليه الحق والصواب في نفسه وعيشه

اما فقد ان الشجاعة الادية فهذا أيضاً أكثر من الادعاء
 وإعجاب المرء بنفسه فيما ينهك من قوى الانسان الادية وبثقل
 عليه يبلواه اذا الاقدام أو الشجاعة التي هي طبيعية لسن الشبوية

(١) قد قرر بهذا الصدد علماء الاسلام اقوالاً جميلة مأثورة اه معرب

قد لا تلبث ان تزول ويتلاشى امرها لان الهيئة الاجتماعية بالنسبة لمجريات أحوالها لبالمرصاد وعلى قلب رجل واحد في الخفض والحظ من عزائم كل اعضاءها من حيث التشبث بتلك الخلة خلة الجرأة والاقدام الذاتي فمن ثم كان قليل من اللين والمكايسة أدبياً وشرعياً مما يجعل المرء في المجتمع يأمن من العثرات والسقطات فيما تنتقصه من أجله وتنتقده عليه الهيئة لكن أولئك الذين يتخبطون في هذا متعثرين في الحياة لدرجة ان يبلغ بهم الخوار والجلين وفقد ان الشجاعة الادبية الى أن لا يجسرون حتى على التعبير عما تكن ضمائرهم من الافكار فهو لاء قد ينتهي بهم الضعف الى انهم قد لا يجسرون حتى على اتقان الفكر نفسه فيما يريدون فالشجاعة الادبية في هذا الحال هي بلا نزاع من الزم اللوازم وأعظم صفات الرجولية أو الانسانية المطلوبة للمرء الا أنها بالاسف من أندر الفضائل الاجتماعية اذ التقاليد والنظامات العظيمة الاحترام بل وبعض العواطف والاميال والاحساسات كلها قد تكون على وفاق واتحاد في كثير من الظروف والاحوال ضد مزاوله هذه الفضيلة من الشجاعة الادبية مرعاة للمكايسة والمداراة واللياقة . فلكي يقول المرء الحقيقة على رؤس الاشهاد

في مثل هذه الاحوال الاجتماعية يلزمه بعض الشيء من قوة
العزيمة ودقة الذوق وهما قل في الناس من يتحلى بهما ويتصف
باوصافها ثم انه ليس مما يرغب فيه دائماً ان يقول الانسان الحقيقة
كما يفهمها ويعرفها هو فضلاً عن انه ليس أمراً ولا أصعب من
الحقيقة المرة فيما اذا كانت تخالف المنافع الاجتماعية والمصالح
المشتركة والاهواء العمومية المتلازمة فمن ثم كان الانتقاد الشديد
والتجريح الكبير للامور لا ينبغي ان يلقى على عواهنه اعتباراً
وجزافاً بلا تحفظ ولا تحوط لمقامات الكلام وجرافات اللسان^(١)
وانك لتجد هنا فائده عظيمة في الاية الانجيلية القائلة « كونوا
فظناء كالثعبان وغير مؤذنين كالجمامة » على ان هناك من الفرص
ما قد تسنح وتسمح للانسان فيمكنه ان يقول بالعقل والحزم
مثلاً على نحو ما سبقت الاشارة اليه الحفيفة الناصعة بأحسن
أسلوب وأرق التعبيرات مع أنها قد تكون جارحة لأكبر
السلطات وهنا ليعد الانسان الضعيف الجبان اذا لم يقم بهذا
الواجب بحسب المناسبات واللياقات غير مكثرت لنقد الوف أو
سخط ملايين أولئك الناس الممالئين لها تملقاً والمشايعين لها خوفاً

(١) ليفقه هذا كل من يتصدر للكتابة العمومية من الشبان والكتاب عندنا

﴿ الفصل السادس ﴾

(لا تكن فرغاً من عمل ابدأ)

لست اعلم في باب النصيحة للشبان مما يلي هذا الباب أفيد ولا أحسن مما تشير اليه جملة هذه الحكمة وهي لا تكونوا خالين أبداً من عمل، وانها لأحدى النصائح السليمة التي قد لا تؤثر غالباً بأي مفعول على الارادة وحكمها، غير أن امثال هذه النصائح والنواهي البسيطة مع ضعفها في الظاهر عن ان تبقى باب افئدتنا مغلقا في وجه روح الشرفانها في نهاية الامر وآخره لتكون اقوم الطرق وافيد المناهج التي بواسطتها تلج الى نفوسنا روح الخير. نعم انه قد يلزمك في الحقيقة ان لا تحصر همتك الذاتية ضمن دائرة ذات قواعد صعبة شديدة بالنسبة الى العمل ومداومة الشغل إذ هذا النهج في تكاليف السلوك في الحياة مما لا مصدر له في الواقع غير ضيق الحظيرة في العقل وقد يزيد الطين بلة فيه بما يؤدي اليه من الارتباك خصوصاً لكن قد يكون حالك من الفلاح والفائدة بالمكان العظيم اذا انت اعتدت منذ نعومة الاظفار على « الترتيب » في اوقاتك والتنسيق في اعمالك وهذا لا يكون الا باتباع خطة مرسومة وترتيب منتظم

في تأديتها فالشباب قد لا ينزع الى الشرور ولا يندفع في تيار
الفساد الذي قد يسببه الفراغ اذا هو شغل نفسه وقام بترتيب
عمله وحدد لمهامه العملية اليومية ساعات معلومات ، اما مقدار
هذه الساعات فهذا يتعلق من حيث الكثرة او القلة بحسب
الظروف والمقتضيات التي لدى الشاب في الاعمال إنما المهم في
هذا الشأن هو الترتيب وعدم التواني في العمل في الساعات
المطلوبة له عندنا بالانتظام فساعة من النهار قد يخصصها المرء
بالانتظام مثلا للدرس لتكون كذلك الغرس الذي يفرسه الانسان
فلا يلبث بعده مقدار حول كامل حتى يجني من ثماره. وما الهمة
والنشاط اللذان يقدم بهما على الاعمال بلا انتظام وبلا خطة
مرسومة ولكن بالسرعة والخبط خبط عشواء بالثقل من هذا
الى ذاك بدون ثبات ولا ترتيب الا والبطالة عندي والفراغ
افضل منها لما في ذلك من التشويش وسوء التأثير على العقل
ثم ان الفكر الخالي من العمل لهو كتلك اندار المفتوحة المعرضة
لدخول اللصوص اليها واقتحامها ، وانه لمن ائتمن الحكم وافضل
المنهجات ان يتمكن المرء ذو الاستقامة قائلا بالفخر العظيم
مجاهراً بالحق « ليس لي من الوقت ما اقدر ان اضيعه في السفاهات

والحماقات ، ولا عندي ميل الى تلحم السفساف ولا اعرف ما الفائدة لتلك الاميال والاهواء الفارغة التي تزعج الخواطر وتشوش الاذهان بدلا من ان تقويها وتميها ، واشهى ما اجد من المسار إنما هو في تأدية تلك الاعمال المتنوعة المنوطة بي على الترتيب ، فاذا ما انتهيت منها اخذت حصتي من الراحة التي بواسطتها استعيد قواي لمتابعة عملي « وأعظم واق للانسان من الفراغ والبطالة هو ان يستكنه الانسان منذ بدايته في مباشرة العمل وبطلع على مافي الحياة من جد وفي الحقيقة فانه مهما يمكن ان يقال بشأن هذا العالم فانه ليس بمرسح سرور ولا بميدان افراح وإنما هو دار عمل ونصب وطريق كدح وتعب حيث كل يعمل بالجد والاجتهاد ومن توانى او لعب فقد ضل وما حصل غير التلف والخسار وغرقت سفينته في تلك اللجج ومن حكم أبقراط (Hippocrate) ابي الطب الشهير «الحياة قصيرة وطريق العمل في الفن طويلة والفرصة كثيرة الانفلات والاختبار فيه مزالق وله عثرات والحكم من وراء هذا كله صعب» تلك حكمة وجيزة لبقراط ابي الطب قالها من نيف وخمسمائة عام بصددها ما كان يزاول من حرفة الطب ذات النفع على نوع الانسان وانها

لحكمة باقية على فائدتها وسمو منزلها لذلك الرجل الذي يمكنه
أن يستفيد منها فيجعلها مرشداً صادقاً ودليلاً هادياً له في كل
ما يزاول من الامور العملية والشؤون الاجتماعية

﴿ الفصل السابع ﴾

(قصر النظر النفسى)

اننا لو نظرنا الى ما حولنا لنكتشف تلك الاسباب المحزنة
المكلمة للفؤاد من نقصان تنشيط النفوس وعظم احتفائها واكثراتها
بأجل الاسباب وأجود الوسائل في كل الشؤون الارتقائية
وأينا أن ذلك ناشيء في الجملة عن « قصر النظر الادبى » فلقد
يرفض الناس مثلاً ان يهتموا أو ينظروا لك مشروعاً أو عملاً
حسناً تهتم به أنت وتفرغ فيه جمعة جهدك لانهم تعودوا أن
لا يحتفوا بعمل وليس في أفئدتهم شغل به أو هوى له . ففي
هذا الوجود الدنيوى ليس بقليل عدد أولئك الناس الذين
لا يريدون ان يخرجوا عما اعتادوه فهم في ذلك كالحيوانات
القشرية من السلحفاة ونحوها التي لا تفارق تلك الأتراس أو
البيوت الطبيعية ، كذلك من كان هذا مثلهم في الناس سواء

كانوا من أرباب المهن والصنائع أو من رجال الدين أو الفلاسفة أو السياسة فأنهم قد لا يريدون احتراماً لتلك الحدود الواحدة التي تعودوها ان يخرجوا منها ابداً، فهانه الحياة الاولية وبلا توسع قد تظهر لنا بالضبط مقدار ما هو لاحق بنا وحائق من باطل الغرور وضروب الوهم فيما تتوق اليه نفوسنا من تحصيل عظيم الحياة والرتع في متسمها بهذا الحال ولقد كان « جوت » (Goethe) الفيلسوف الشهير حتى عند ما بلغ الثمانين من العمر واشرافه من ثم على حافة القبر ينادى قائلاً أو ضارعا « انى لا أريد أن ازداد نورا » فيا أيها الشبان اذا أحببتم أن تطرحوا وقر تلك « الأتراس » الثقيلة وتخرجوا من مضايق التقاليد الفنية وكل حصر آخر من هذا القبيل فليكن من أشهى مطالبكم ودعاء نفوسكم هذا الدعاء الكريم والقول الحكيم صادرا من أعماق القلوب وعزائم النفوس « لنزدد شوقا ورغبة » اذ كثير من الناس ممن قد يكونون على جانب من الذكاء والنباهة لكن لا يعرفون كيف يستخدمون ما وهبوا منها فهم كاولئك الجنود يحملون السيوف القواضب ولكنهم لا يدرون فيما اذا يستعملونها أو قد يستخدمونها في اتفه الامور لانهم قد تنقصهم الرغبة

والميل لما هم بصددده . ولقد جاء في حكم التوراة « أبكوا مع الذين يبكون وأفرحوا مع الذين يفرحون » فهاته الحكمة البليغة لو فهمت على حقيقتها ومارسها الناس على مثال ما توميء اليه لصارت حياة كل منا مملوءة بالطيب من العواطف والكريم من الاحساسات للعموم بمقدار ما قد ملئت حياة « شكسبير » نابغة الشعراء الانكاي من خيالات وتصورات عالية ولقد يمكن للخلق أن يكتسبوا هذه الحلة الكريمة ويحصلوا على هاته العاطفة الشريفة الضرورية خصوصاً لكل من يريد أن يكتب أو يقول الشعر ويميل اليه ولكنه ليختار ويفضل ايضاً أن يضع المرء من رقة الطبع الشعري ولطافة الاحساس في نفسه التي بين جنبيه اكثر مما يصوره جنانه ويخطه بنانه على الورق فان هذا لأفضل ما يكون بالنظر الى المرء في ذاته وفي الهيئة الاجتماعية التي يعيش في كنفها فان حياة منسربة بالروح الشعرية تسيل لطفاً ورقة طبع ودقة شعور لمي النقيض على خط مستقيم لأتزام الخطة الواحدة ثم التشبث بالاثرة ومحبة الذات وهي بذلك لتغذي النفس بغذائها الصحيح من الخير وترضع المرء لبان الكمال وتكسبه في النفس الجمال على اشكالهما وأنواعهما فيخاق بالشاب

في مثل هذا الحال ان يجعل ديدنه ان لا يحصر طبعه ضمن دائرة ضيقة من العواطف والاحساسات العملية غير ملتفت الى ما ورائها إلا بعين النقص والحقاقه والوهم والازدراء ولقد يقال ان عداوة رجل كريم الشيم خير من صداقة صديق تعمي صداقته النفس وتصمها (وفي المثل أو الحكمة المشهورة عندنا « عدو عاقل خير من صديق جاهل » لكن هذا ليفضله في أدب النفس ان لا نحقد على أحد ولا نتقص انساناً^(١) اذ الرجل العاقل الكيس هو الذي يسعى بكل الوسائل حتى يخرج من الاثرة وحب الذات ويقدر الناس وبالتالي آراء خصومه من الاحزاب التي تضادها مشاربه ومبادئه اقدارها ولقد كان للمأسوف عليه زعيم الفلسفة «النفعية» خلة كريمة وشيمة حسنة على ما اشتهر به من تشدد وصعوبة في مبادئه الادبية فيما كان ينظر به الى آراء عالين كبيرين ممن كانا واياهم على طرفي نقيض بعين العطف والشفقة اكثر مما كانت تريهما له مبادئه وأغنى بهما العالم «كوليريدج» (Coleridge) والمؤلف «نوماس كارليل» (Thomas Carlyle) فلا تطلق لنفسك اذا العنان قط فتكيل

(١) ليصني الى هذه النصائح الشبان عندنا فانها من افيد مايفيد في باب الحياة ولقد جاء في الآية القرآنية هذه الحكمة « ادفع بالتي هي أحسن » اه معرب

العداء جزافاً وبالاحتقار لطائفة من بني جنسك لدرجة تظهر فيها التعظم والتكبر فان ذلك خطر عليك بل لا ترفض محبة انسان بدعوى ان كل الناس يطعنون عليه ويخوضون في حقه الامر الذي كثيراً ما قد يظهر ان المطعون فيه المقدوح في حقه هو من خيار الناس مما يجدر بك محاوله ان تمسك بمبدأ العطف والحنان عاملاً بالقول المأثور «أحترموا كل الناس» لأنه ما قيل الا لحكمة كريمة ملكت حكماً ونصائح عالية ومعاني جلية شأن باقي حكم الانجيل في نصائحه الكثيرة امثالها، ولكن هذا لا سبيل اليه ما لم تبدأ بمعرفة كل الناس وانك لن تعرف انساناً من بني جنسك الا اذا نظرت اليه بعين الاخاء (وفي الآية القرآنية الكريمة إنما المؤمنون أخوة) إلى ما حوت نفسه من محاسن، تلك هي اسمى غاية الفلسفة الادبية الاخلاقية بل في هذا أعظم ما ننشد من غنى أدبي، بل هذا هو بنوع ما حجر الزواية في بناء الاخلاق الكريمة والخلال والشيم المنيفة، فاذا ما اجتهدت وحصلت ثمار هذا امكنتك ان تظفر بالجمع بين أعظم مقوميه الحقيقة والمحبة بشأن كل الناس وسهل عليك من ثم الاخلاص في الاعمال كما في الاقوال

﴿ الفصل الثامن ﴾

(الاهتمام بالامور والاعجاب بالاشياء)

انه قد ترى فئة من الشبان يشاهد مكتوباً على صفحات وجوها هذا المثل القديم «لا تعجب من شيء» فهو لاء بالنظر الى أبناء الشيبية ذات البهجة والنشاط لا يعدون من خيرتها مالم تكن تلك الحالة من عدم الاهتمام بشيء عندهم من امثال تلك التصنعات الصبائية التي قد تزول أما فيما عدا ذلك فانها لشر الصفات وارداء الخصال التي لا يرجي لصاحبها كبير نجاح ولا عظيم فلاح. قال أفلاطون «التعجب من صحيح الاحساسات الفلسفية» وهو كلما كان عظيماً كلما كان أحسن مادام مصحوباً بالاحترام والوقار والنظر الصائب، وهو اذا كان مستوفياً قدره عند الولوج في غمار الحياة دل ذلك على سلامة سحنة المرء الادبية وحسن ذوقه. أما اذا فقد دل ذلك على قلة الاحساس وعدم الاكتراث وبعبارة اخري دل ذلك أيضاً على الاثرة والعجرفة والنفسية وبالجملة دل على كل الاشياء أو الخلال التي باجتماعها تظهر كأنها صفات حقة أمام أعين ذلك الناقد الذي لا معرفة عنده ولا اختبار كبير لديه

انى لأنحى باللوم على هذه الخلة القليلة اللصاق بالعقل
 من أصل الفطرة والتي لا ثمرة فيها فلماذا أنصح لكل ناشئ
 بقولى تعود الاحترام تلك الفضيلة التي وان كنت قد لا تراها
 كثيرة الاثمار فيما نعيش فيه اليوم في مثل وسطنا الذي يقرطى
 الذى نشغف به الا أنها الفضيلة كل الفضيلة التي قد لا تقل
 فى الفائدة بالنسبة الى النفوس عن فائدة الملح بالنظر الى الطعام
 « انا نعيش بالمعجب والامل والمحبة »

ونحن من ضعاف الخلق حتى ولو كنا من أعظم الرجال
 لان حفظنا الوحيد في صيرورتنا بنوع ما عطاء ، لهو بالتبعية
 واللصاق بعظمة هذا الكون وعظمة الخالق الذى اكرمنا
 وفضلنا على كثير ممن خلق تفضيلا ونحن لن ننال تلك الكرامة
 الا اذا عظمنا جلاله واكبرنا شأنه تعالى واحترمنا نفوسنا
 واحبينها وجعلنا نصب أعيننا من ثم صفة من الكمال المطلوب
 بالمكان الاعظم ينبغى أن نحرى على قدر الامكان صفاتها
 الكمالية فى نفوسنا حتى تفيض علينا فيوضات الله تعالى ويلبسنا
 ثوب جلاله وجماله ويكون لنا كما شاء بالاعظام والاخلاص
 الذى نلزم نفوسنا اياه سمعنا الذى نسمع به وبصرنا الذى

تبصر به (كما جاء في الحديث الشريف) فيكون لنا من ثم نورا
تمشى به في الناس وهذا ما تشير إليه أيضا بعض آيات الانجيل
الشريف . فالرجل ذو القلب الكريم واخلق العظيم لينظر الى
الاشياء ويعجب بها وما يعجبه منها يقتدى به في كماله لان
غاية الغايات كما يقول الفلاسفة « المتشددون »

« النظر الى نظام العالم ومحركاته) وانها لحكمة جليلة في
قلب من العبارة جميل لكن كيف يتوصل المرء الى النظر اذا
لم تكن له تلك الخلة من المحبة والعجب التي تؤدي الى حسن
النظر ؟ وكيف يتوصل الى المحاكاة والتقليد ما لم يحسن معرفته
بواسطة ذلك ؟ لا ريب ان هناك شيئين ضروريين للوصول
الى تقدير المرء الاشياء حق اقدارها واحلالها محلها وهما « دقة
النظر » — وشرف العواطف « اما عادة الاحتقار والحط
من اقدار الناس فانها خلصال ذميمة تعمى الابصار وتميت
البصائر بعكس حال خله الاعجاب والاحترام والمحبة الكريمة



﴿ الفصل التاسع ﴾

(الاعتدال)

انه ليوجد بالنظر الى الآداب والاخلاق نوعان من
المباديء، الاولى مبادئ تعد من قبيل العواطف والاميال
والثانية تعتبر من قبيل الامور المهيئة والاشياء المنظمة للاحوال
فمن الاولى « الاحترام والمحبة » اللتان قد آتينا على بعض الشيء
عنها فيما سبق ، ويعد من الثانية « الاعتدال » وهو تلك
الفضيلة التي ليس للشبان على وجه العموم تعلق بها والتي قد
يتسامح بنوع ما لهم فيها مع أنها ليست بالاقول أهمية في الباب
واذا لم يتلقها الشبان من قبيل « العلاجات الواقية » كما يقول
الاطباء في اصطلاحاتهم الطبية أى للحفاظ وصيانة النفوس
من الاندفاعات حتى لا تجر عليها الاخطار فلا يلبث ان تدل
تجارب المصائب نفسها اولئك الشبان على لزومها وضرورتها ،
فأحذر الاندفاعات تلك نصيحة وان لم تصنع اليها جيداً ولا ترعها
بالجد سمعك لانها قد لا تعجبك لما أنت عليه في مثل عمرك
وحرارة دمك الجارى بالقوة في عروقك لكنه في مثل هذا
السن نفسه لما فيه من شدة وحدة قد يحصل ما يخشى منه في

الحقيقة من الندق والاندفاع بالسهولة وانطلاق العنان لهوى النفس فتقتحم ارضا من الحياة كلها شوك ووعسج تهدد كل الحياة في كيانها، بل في مثل هذا العمر ماقد يطرأ عادة من عدم تأصل هذا الخلق من التحشم والتحاشي اللازم بمقدار ما الانسان محتاج اليه من الشجاعة المعتدلة للظفر في حومة وغى الحياة الادبية ولقد جعل أعظم فلاسفة القدماء وحكمائهم المشهورون وفي طليعتهم الفيلسوف الكبير ارسطو ذلك الذي وقع الاجماع على تفضيله فيما قرر من آراء وحكم هذه القاعدة كأحسن ما يختار ويفضل في الاتباع في سلوك مناهج هذه الحياة ذات المصاعب والمتاعب وهي « ان الحكمة لتنشد وتجرى بين الاطراف ^(١) فأنتم جميعاً أيها الشبان ويا من في أول درج من سلم الحياة وتلاً جواً نحكم أعظم الاماني والآمال ولديكم من النشاط ما لا عنان ولا شكيمة لرده ومن الندقات ما لا سبيل لحصره اسمعوا الى هذه النصيحة الثمينة وكونوا على ثقة منها وهي انكم كلما تقدمتم في السن ولا بستم حنكة الرجال كلما قوى

(١) شرح هذه القاعدة في الآداب والاخلاق علماء العرب بمد استفادتها من حكم القرآن والسنة وتطبيقها على ما قرره ارسطو وغيره من الفلاسفة وفي الحديث الشريف (خير الأمور أوسطها) ١٥٠٠٠

صحيح الاعتدال فيكم وزادتكم الايام خبرة بهذه الحقيقة الناصبة
من انه ليس أقوى الرجال وأشدهم — هم الذين يمكنهم مقاومة
كل عواصف الحياة وزعازعها بما اتوا من شدة وعنف وانما
الذين يحسنون ذلك هم اولئك الذين يقدرون على ضبط نفوسهم
ورد جماح ثوراتها على أحسن حال . فالتوكل الذي يعقب
التخلم لدليل كاف مثلاً على ان الطبيعة البشرية في هياج انتقاما
لنفسها من ذلك الشره النهم وكل انطلاق في الفساد من هذا
القبيل لهو بداية دخول في الانتحار وقتل النفس باليد لأنه انطلاق
لسوس الفساد ينخر من الداخل في العظام ويهدم بلا استشعار
هيكل الاجساد . وهكذا الحال في التخلم الادوية من حيث
من حيث الانهماك في العمل فان المدارس الطويلة خصوصاً
ما كان منها بهذا الشكل الاصطناعي الرديء غير المثمر سوى
كثرة التعب والنصب قد يأتي بضد المقصود من حيث
ما يضعف العقل ويسقم المعدة ويفسد في الجملة مجموع العمل
الحيوي في الجسد

فأصغوا أيها الشباب الى النصيح والوقت من الشباب موافق
والفرصة من العمر سانحة فان أسلوباً فيه العنف والشدة لن

يؤدي الا الى نتائج عنيفة وشديدة وتذكروا أن سفينة قد أصابها العطب مرة من وراء ما أرتطمت به واصلحت لن تساوى قط سفينة سليمة من العيوب بالمرة. فالحكمة هي أجمل شيء يجب التحلي به ولكن ليس من الحكمة كذلك أن يبقى المرء في الحكمة دائماً ولست بمذكركم بمن قال هذه الحكمة « لا تكن حكيماً للدرجة القصوى ولم تقضي بذلك على نفسك قبل أوانها »

﴿ الفصل العاشر ﴾

(أياك والاعتداد بالمال او التكالب عليه)

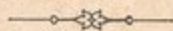
ان بريطانيا العظمى هي بلا نزاع من اغنى بلدان كرتنا الارضية فهي لهذا السبب يمكن اعتبار قول الحكيم الفاضل « سيدنى سمث » (Sydney Simth) فيها « انها البلد الوحيد الذى يعتبر فيها الفقر جنائية » حقيقة حرية بالعناية ثم انه من لمن اول ما يجب أن يهتم به هو ان يسطر الشاب الانكايلى الداخلى فى غمار الحياة لأول مرة على صفحات قلبه هذا المبدأ الجوهري لكل فلسفة اخلاقية وهو ان الكفاة الصحيحة

للمرء هي فيما يكون عليه لا فيما تحرز يدها^(١) فأحذر من تصاب
 بالعدوى الادبية مما يفسد الآن قليلاً أو كثيراً جو البيئات التجارية
 والاوساط الصناعية وأحرص ان تقدر رأى امرىء بظاهر
 امره بدون أحاطة بشرف باطنه فان الرجل القصير القامة الذى
 يصعد فوق بعض المرتفعات يشرف منها ويطل على الجمهور
 لا يستفيد من تلك الميزة الا ما دام حافظاً لمركزه هذا كذلك
 الرجل الغنى الذى لا ميزة له ولا فضل غير كونه موسراً وغنياً
 غنى قد يستفيد به فى العالم بعض الفائدة وشيئاً من الحيشية
 الوجودية حتى ولقد يتوصل بذلك الى ان يضاف الى جانب
 اسمه فى بطاقاته ومكاتبه حر فى (ع . ب) (اى عضو فى
 البرلمان) ولكن جرده من حالته الطارئة هذه ثم انظر اليه بعد
 ذلك نظر خبير تجده احياناً انساناً خالياً بما لا يمكن ان نقيس
 نفوسنا به . فأجعل نصب عينيك اذن انه ليس فى الاحوال
 الاجتماعية أحقر من حال امرىء يعكف على التكالب على الغنى
 فقط لانه باعتباره واعتداده بذلك الذى لا قيمة له الا فى الخارج
 قد يفقد الصفة الحقيقية لكمال الجنس البشرى وعكس اى

(١) مبداء قال به اخلاقيونا من السالف ايضاً وشرحوه ايما شرح وكذا
 التوسط فى طلب المال والغنى من حلال كما سيأتى من نصح المؤلف اه معرب

عكس قيمة الانسان الصحيحة . نعم كسب الدرهم انا من أول
من يقول به وينصح لكن بالقدر اللازم للعيش والنفقة في الشؤون
الحيوية وتوفير بعض الشيء للمستقبل ولكن أحذر من أن تجعل
كل همك منصرفاً الى الجشع والتكالب على « جمع المال » أو للثروة
كما يقولون فلقد تضافرت الآراء ووقع الاجماع بين عظماء الحكماء
وكبار الفلاسفة كسقراط وافلاطن وارسطاطاليس والقديس
بولس على ان من الانهماك الشاين الاشتغال بجمع المال وانه
كلما كان إحلاله بالمنزلة السامية من النفوس كلما سقطت همم
تلك النفوس وسفلت حتى في اعين ذاتها .

فينبغي عليك اذن ان لا تعدد ولا تحفل الا بالكفاة العقلية
والادبية من ذاتك - وقيمة المرء ما يحسن - وأنت على طول
المدى تظهر لك حقائق الاشياء على حقيقتها فلا ترى من ثم
« عظيماً » ولا صاحب « قناطر من الذهب والفضة » قد يرى
نفسه أنه اسمى منك منزلة وأجل قدراً ولا ترى أنت نفسك
أحط منه مقاماً .



﴿ الفصل الحادى عشر ﴾

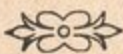
(الثبات)

انى لا اريد ان اسرد هنا على التفصيل مزايا كل الفضائل
 فاذا اردت ان تسوعبها مفصلة فعليك بالعكف على مطالعة
 ارسطو غير انى مع ذلك لا يمكنى ان اغفل هنا امر واحده هي
 في آن واحد من الطف وأحسن ما يتجلى بها من الصفات ثم
 هي من أهم الاصول الجوهرية للحصول على العظمة الادبية
 والنجاح في كل المطالب الدنيوية وأعنى بتلك الخلة الكريمة
 « الثبات » فليست أعرف رجلا يعمل عملا نافعا الا وكان
 رائده فيه الصبر والثبات في الحال ولقد قص علينا الشاعر
 «وردثورث» (Wordsworth) في منظومته التي سماها «رياضة»
 ما فيه عبرة وحكمة بالغة قال . ان السماء بالرغم عن تلبدها بالغيوم
 وانهطال المطر من السحب لم يمنع ذلك من متابعة سيره في
 الجبال غير مكترث لما كان يؤذيه من تساقط المطر على أم رأسه
 وعلل تحمله لهذا العناء والمشقة بان اهمال امر هام لمحدور صغير
 شديد الخطر على الاخلاق . ففي قوله هذا حكمة بليغة إذ أننا
 نعيش في عالم يجب ان لا تثنى فيه العزائم ولا تخور فيه النفوس

إزاء الاسباب التافهة والامور الواهية فأنا قد نجد فيه مصاعب ومتاعب يمكن ان يقال اننا نحسن مقاومتها وتلافيها ولكن تذليلها أحسن وأشرف . صعد احد أصحابي مرة فوق جبل « بن كرواشن » (Ben Cruachan) وظن أنه قد وصل الى قمته الاخيرة ولكن ما لبث ان عرف خطأه وأنه لم يزل بعيد عنها بنحو الميلىن الى الشرق وان المسلك المؤدى اليها صخر حاد صعب المرتقى بالنسبة الى قدميه اللتين اخذتا تعباً وتكلان ولقد زاد الطين بلة ان خيم الضباب على تلك القمة وأنه لم يبق على الغروب سوى ساعة من الزمان فاقتضى الحال ان ينزل من أقرب طريق ولكن ما الذى صنع في اليوم الثانى ؟ انه باشر الصعود بهمة عظيمة ولم يتناول غدائه الا على آخر قمة من الجبل المذكور قائلًا « حتى لا يقرن أسم أجمل جبال « الهيجلند » (Highland) فى ذاكرتى بالكدر والفشل فى صعوده » فأولئك الناس الذين من هذا المشرب ثق بأنهم هم الذين ينجحون فى كل اعمالهم ومشروعاتهم فليكن لك من العزم والصبر ان لا تنتهى امام اية صعوبه يسهل عليك تذليلها قط سيما فى بداية الاعمال الجديدة لك ويقول المثل الالمانى « ما من صعوبه الا

في البداية « والعمل كلما شرف كلما كان أصعب مراساً على ان الامر الصعب في الحقيقة هو الذي يستحق العناية بان يتم وانه لن يتم الا باستعمال العزم وقوة الارادة والثبات وفي عالم الامكان ما الارادة الا التمكن وان تلك الارادة الحازمة حتى في بعض الظروف غير الموافقة لتساوى النجاح وتوازي الفلاح وان لم ينجح ولم يفاح صاحبها على اني أقول أنه وان كانت الاحوال والظروف قد تكون في بعض الاحوال غير مناسبة فان الارادة الحازمة لتنتهي بان تفتح لنفسها طريقاً وسبيلاً للنجاح . أقرأ حياة « فردريك » (Frédéric) الكبير ملك بروسيا وانت تعلم سر ماقلت ومعنى ما اليه أشرت أما ذلك الذي يهمل شأنه بمجرد ان يرى عكس ما يريد فهذا لن يخدمه السعد بالظفر ولن يجنى غير القدر اليسير مما يطلب وينشد .

وأريد الآن ان اعاق بعض ملاحظات على فضلى الطرق التي يجب اتباعها لوصول المرء وحصوله على الكفاءة الادبية



﴿ الفصل الثاني عشر ﴾

(تعويد النفس على الخير)

فقبل كل شيء ينبغي ان تسطر بحروف من ذهب على صحيفة ذهنك ان هناك شيئاً واحداً يهب الحياة البشرية ما لها من قيمة حقيقية وكفاءة صحيحة الا وهو « الرغبة في الخير » وهاته الرغبة لن يتوصل اليها الا بممارسة الخير نفسه في كل الاعمال فاذا تصورت انك قد تجد أعظم معين لك في هذا السبيل في الاسفار والآراء والمجادلات العلمية فقد غلظت ووهمت كل الوهم لان الكتب والخطب الى أشباه ذلك قد توقظ في نفسك رغبة الخير والشوق اليه فقط وهذا يمكن اعتباره في سفرك في هذا العالم « كالعلامات » المركوزة في الطرق ليتهدي بها المسافر في ابتداء سفره خصوصاً ولكنها لا تعطي الاقدام قوة ولا نشاطاً على متابعة السير وهذا السفر تعلم انت ان قدميك وحدهما هما اللتان تقومان به وتباشر انه فالاعلام وما عليها من أشارات وكتابات قد تساعدك عند مصادفتك لها ولكن لتتعلم بالاحرى ان لا تركز على تلك المساعدات وحدها. وثق بأنك قد لا تسير طويلاً حتى تصادف في سبيل الحياة مهامه وفيافي

وعقبات لانهاية لحدودها فالويل كل الويل اذاً لذلك المسافر الذي لا يعرف كيف يهتدى ولا يضل الطريق من نفسه وبلاعلامات ولا دلالات قد لا تفيد ثم . وما أتعس حالك في هذه البحار المترامية الاطراف اذا فقدت من سفينة نفسك « بوصلتها الذاتية » الصحيحة واكتفيت من ثم في طلب السلامة من مهالك الغرق على عمل الغير ومعرفة آخر وربما كان هذا الآخر ليس بأقل منك في التخبط وضلة الطريق

فأشدد من حولك وأثبت من عزمك وعملك وأعلم هذه هذه الحقيقة بل الامر الجوهري وهي أنا إذا أردنا أن نتعلم المشي والقفز والضرب بالسيف فأنا لن نصل الى ذلك الا بالتمرين والعمل كذلك لا سبيل للحصول على الفضل والشرف الا من طريق واحد هو العمل بالفضل والشرف فاذا انت صادفك من اول مرة في الحياة « تجربة وفتنة » وضعفت نفسك عن مقاومتها لم تقو بعدها على قمع جماح النفس في الثانية واذا طاوعت النفس فيما يبدر منها بعد ذلك لم تلبث حتى تقع في النقائص بالسهولة واتسعت من ثم عليك الخروق والثلمات في الرذائل ، وانه بقدر ما يستقبل السائح في البحر المياه بصدوره

متغلباً على الامواج التي تعلو به وتسفل بقدر ما من ثم يتقن السباحة في تيارات المياه الشديدة مقاوما مغلباً عليها أما اذا أنت لم تعود الاعلى السباحة في المياه الواطئه القريبة الاغوار قلن تسمو بقلبك الهمة والاقدام بالتحقيق في ساعة العسرة في السباحة على التغلب والنجاة من الامواج فمن ثم لاتظن ان تعريفات مهومية مدونة في الكتب والاسفار في الرذيلة والخطيئة وكيفية التوقى منهما بما يضادها من الاخذ بالفضيلة والتحلي بالاخلاق الجميلة قد تكفي بمجرد تلقنها واستيعابها لان تساعدك وتعينك على نيل السعادة والطهارة اذ المسافر الذي لم يشاهد بالتتابع العلامات التي يمر عليها في الطريق وهو منطلق فهو كالواقف في نقطته لم يخطها قط ولم يتجاوزها بالسفر بعد وهكذا سفر المرء في هذه الدنيا واختراقه هاته الحياة متخلقا حقيقة بالفضيلة فانه ان لم يلاحظ بالدقة ويجيد تنقية نفسه من صفائر العيوب والنقائص واحدة اثر واحدة حتى تحتق وتحمى فانه بدون ذلك ليكون معرضا لخطر كبائر الذنوب ويكون بذلك هالكاً لا محالة^(١)

(١) نرى تفصيل هذا الذي ذكره المؤلف في تزكية النفس وتنقيتها مفصلاً أحسن تفصيل في الاحياء للغزالي وفي رسالتي (أدب الاسلام) التي سأطبعها قريباً ان شاء الله تعالى اهمعرب

﴿ الفصل الثالث عشر ﴾

(التحلى بحلى الحكم العالية)

قال « ريشتر » (Richter) هذه النصيحة الثمينة بالنظر الى ما قد يعترى المرء من الفتور والقنوط النفسي وهو ان يستحضر المرء في ذهنه عند حلول ساعات الاكدار ذكرى أوقات الصفاء وسويغات الهناء والسرور كذلك يجدر بالمرء في مثار غبار الاكدار اليومية في الحياة العملية ان يعلق المرء بنفسه حرزاً واقياً ذا تأثير كريم من الحكمة العالية والفكر السامى لهذه الحياة يكون منطبعا على صفحات قلبه بصورة جليلة قوية . فكما قد يعلق اولئك السذج وذوى الاوهام الاعتقادية من العوام باعناقهم وعلى قلوبهم الاحجية والتماثم إملأ أنت هذا القلب بكنز ثمين وحرز حريز من الحكم الكريمة والكلم العالية فتكون من ثم بما من من الشر وفي حصن حصين بمالا يساويك فيه ذلك الملك المطلق فيما يحرسه ويحميه من عسكر واسلحة حربية ماضية . أما تلك الكنوز الثمينة من الحكم العالية الغالية فانك لتجدها في كثير من الاسفار ونفائس الكتب وهي تشاهد بالنسبة الى الشرق في أشعار « الخالدي » الهندي

(Kalidasa) وفي سفر «سكياموني» (Sakyamouni) و تراها
 بالنظر الى الغرب في آثار « فيثاغورس » « وافلاطون »
 و «أبيقراطوس» (Epictète) لكن اذا كان لك حظ ونصيب
 في تحري نفيس الحكمة واحسن الاختيار وأجود الفكر ولم
 تكن بالمغوي بيرقشات اشياء الادب الجديد فانك قد لا يفوتك
 منذ حداثة العهد تحلية افكارك وتغذية عقلك وأملاء قلبك بحكم
 آيات الكتب السماوية والاثار النبوية فأنقش منها ما شئت على
 صفحات قلبك تفر بالخير وتخطى بالسعادة وان حشو القلوب
 منها لما يزيد النفوس حكمة ويملاً الجوانح خشية ورحمة والافتدة
 كريم عواطف وشريف احساسات فمن ثم لا تعمى البصائر
 ولا تتلوث النفوس بارجاس الرذائل والنقائص فيعيش المرء
 منعم البال قرير العيز مرتاح الضمير متلذذا متنشطا في سعادة
 الحياة وحياة السعادة بشرط العمل بما نعلم .

وهذا الطريق في تحرى صحة النفوس وتقوية ككرم
 العواطف والخلال الطيبة قد نصح بمثله افلاطون الحكيم اليوناني
 أهل عصره بالنظر الى ما كانت ترمى اليه اراؤه واعتقاداته
 الفلسفية في فصل عقده في سفره الموسوم « بالجمهورية » أفلا

يكون لمعاشر أهل الأديان السماوية مرامي تلك الغايات الشريفة في إصلاح حال النفوس وتطهير الأخلاق من الوجهة العملية بحسن القدوة والمتابعة والمعاشرة خصوصاً لأهل الخير والإصلاح كما دلت عليه الآثار وكما ترى في الفصلين التاليين عن فائدة ذلك وحسن تأثيره في كل الفعال .

﴿ الفصل الرابع عشر ﴾

(الاقتداء بعظماء الرجال في كل الأعمال)

ربما كانت الذاكره بامتلائها وتحليلتها بكثير من نصوص الحكم العالية والمواعظ الغالية بالنسبة الى شرف الحياة وعظمتها أقل أهمية ومنفعولاً في جلب الخير ومنع الضير عن النفوس مما قد يوجده تصور ذهني عامر حافل بأمر الشهامة الفعلية والمرؤة والطيبة الحية وصورها العملية الشتى وبعبارة أخرى انه لا يوجد لسلوك سبيل الخير حتى يصير المرء خيراً بل وعظيماً ايضاً أفضل من الاقتداء بأهل الخير والإصلاح وذوى العظمة عملياً منذ حداثة العهد ولقد دلتني طویل اختباری انه ليس أوقع

في النفس وأمد لها في العظات البالغات من أمثلة أحد عظماء الرجال وإنا لنشاهد مرور تلك الامثلة الفعلية الحسنة والقديوات العملية العظيمة أمام أعيننا وتقع في الواقع أشياءها بين ظهر آيننا في كل أين وآن وهناك في ضمائرنا ووجداننا صوت صوت شديد جداً ينادينا كخبر المياه العظيمة يوبخنا ويقول لنا «أعزم واعمل عمل هؤلاء» على أنه لماذا لا يكون كذلك؟ نعم كل الناس ليسوا من الابطال والشجعان والفرص السانحة لاظهار المرء مزاياه في الشهامة ليست بالتي قد تأتي في كل الايام أو تيسر وتتهيء لكل الناس لكن إذا لم يمكنك ان تعمل ما يطلب لامثال تلك الأعمال فأعمل على الاقل بالشهامة والمرؤة في كل الاشياء الشبيهة بها في المجتمع فاذا كان مقامك على مرشح الوجود ليس بالمتسع ولا بالرفيع الذرى فلماذا لا تجتهد ولا تجتهد لتظهر في ذات مقامك الذي وهبك الله اياه مرتفعاً وعظيماً ضمن دائرته واقفاً على درج مرتفع منه باستعمال رجوليتك وكفاحك في الخير؟ ولقد يمكن لكل انسان ان يستفيد من أمثلة عظماء الرجال الحقيقيين اذا رغب ذلك بالتطبيق من ذاته على ما هو بصدده من العمل بحسب المناسبات وظروف الاحوال، وانه لمن اكبر

الاعطال أن يعمل المرء أظهار الكفاءة بالاستناد الى عظم العمل أو بنسبة المزاكر العملية مما فيه كبر الصيت وبعد السمعة وإن هذا وحده ما يستحق ان تعمل فيه القرائح بالجد والنشاط والرفعة فهذا من الغلط الفاحش والوهم القادح إذ لكل عمل إنسانى نافع قيمته ودرجته ووجوب حزم الرأى فيه وربما تساوت قيمة الاعمال البشرية النافعة ببعضها عند النظر الصحيح بل ربما رجح ما زدرية منها ما قد نحسبه من أنبها في الذكر والفخر، فالمرشال «مولتكه» (Moltke) في جلسة حربية يعقدها قبيل واقعة دموية قد يتغير بها شكل بلاد أوروبا السياسى ليس من حكمة الرأى وإصابة الاغراض وقوة الحزم بأفضل من ذلك العمدة او الشيخ في بلده فيما يبرز من قرارات مفيدة بالمجالس البلدية التى يرئسها من حيث استصلاح مياه شرب المدن او البنادر أو تعديل الضرائب أو اصلاح حال المقاطعة الى اشباه ذلك وبالجملة فأعظم أمور الشهامة والشجاعة هى ما كانت أجمل في الذكر وأدوم في النفع ولو كانت جارية ضمن حدود صغيرة شهرتها غير كبيرة . فليكن لكم أيها الشبان ذوى التصورات الصغيرة التفات بالنظر في صور مشاهير الرجال

وأرباب الاعمال العظيمة والتأمل في صحائف ما أثرهم الفراء حيث فيها العبرة والعظة وحسن القدوة لتجربى كرائم الامور وجلائل الفعال دون خسيسها وتاقهها وإنكم بذلك لتشعرون بما يزيدكم شوقا الى عمل الخير والمرؤة والشهامة ويكسبكم فضيلة الاستحياء من ان ترتكبوا الشر أو تأتوا بالذيلة إمام أنظار «هذا الجيش الجرار من كبار الشهود»

ثم إذا اردت ان تعرف ما هو الايمان ويتعلق به قليك لتحظى بعمل الخير وخير العمل من وجهة أخرى فأترك مجادلات رجال الدين فيما يقررون ويتباحثون فيه ويكثر من قشور في الالفاظ والعبارات والتعمقات وطالع كتابك السماوى فأنك لتجد فيه ماقل ودل بأفصح قول واجزل عبارة وأجمل اشارة تأخذ بمجامع القلوب وتهدى الى سراط مستقيم لا ترى فيه عوجا ولا أمتاً

وانى لأسائل نفسي عند ما أرى أبناء شيببتنا يتربعون على المقاعد الخصوصية فى أوقات الفراغ منهمكين بمطالعة ما تحكى لهم من أمور البشر الموهومة التى قد أتى عليها القصصى «تاكيراي» (Thackeray) ومثون غيره من القصصيين الاهلين

فما حشوا به مؤلفاتهم ورواياتهم ترى ما الذي يستفيد هؤلاء
الشبان ويحشون به أدمغتهم من ناقة تلك اللذة واعتياد سخي
تلك الأمور في وقت بل مندوحة وفرصة من العمر يجب ان
تصرف في الجد واكتساب جليل اشياءه وجميل أموره وحسن
وقعها في النفوس وانحاء غراسها في القلوب بما يفيد المتصف
بالاشتغال بها العظمة النفسانية ويكسبه الميزة الادبية؛ أما أنا
فاني لأجاهر على رؤس الاشهاد بأنني لم استفد شيئاً قط من
مطالعة «تاكيراي» هذا لان أجمل موصوفاته وما قد تفنن في
تجويره وتسطيره قد يرى عليه «شيء لطيف» من الضعف
وبصرف النظر عما جعل لا بطل رواياته من قوة التأثير في نفس
القارىء فاني أرى ذلك لما يزيد ضعفه ضعفاً. ومن أفضل
الكتب في الآداب اليونانية التي كان لها في السابق عندنا عظيم
شأن وتداول في الايدي - وأخشي ان تكون الآن قد عدل عنها
ودخلت في زوايا الاهمال - كتاب «بلوتارك» (Plutarque)
ففي هذا السفر بالنظر الى الشاب والرجل الكامل أعظم المواد
والامثلة الحية العظيمة الذاهبة في الشؤون كل مذهب مما هو
في جماته أعظم مساعد ومعين للقوة الادبية، ومع ما امتاز به

مؤلفونا المتأخرون من التدقيق وحسن الانتقاد قد لا يساؤون في فن التربية اذا ما قورنت كتاباتهم بما دونه بالعظمة وسطره بالحنان والرقة الطبيعية نحو ضعف الطبيعة البشرية ذلك الشيخ « البيوتى » الطيب في طبقاته تلك المدرسية بكل رقة وصرامة فأبذل جهده وعنايته بان تمارس وتعتاد لا مافي الحياة البشرية من باطل وغريب وفظيع كما قد تراها مشحون بها تلك القصص والحكايات الوهمية بل اعتد بان تعرف الحياة البشرية الصحيحة ، الحياة الواقعية كما تقصها علينا تراجم الناس وما في سيرهم وعبرهم من الوقائع والاحوال الكريمة كما قد تجدها مثلاً في ترجمة حياة « بيرقليس » (Periclés) الاثيني في حكايته مع عبده حين امره بأن يأخذ مصباحاً ويشيع بالأدب واللفظ ذلك الرجل الذي أهانه وسبه بكل غلظة وفضاظة ومثل قصة « لوثيروس » (Luther) الالماني في مسيره بمفرده بالهدوء والسكينة لمقابلة جيش الامراء والكرادلة وكقصة القس «أوبرلين» (Oberlin) في مقامه بكنيستته في «اللزاس» وزهده ورفضه لما أحببت أن تمنحه اياه من العطايا الجسيمة المغوية للنفوس من اسناد كرسي كنيستتها اليه المدينة العظيمة هناك وتفضيئه البقاء في صومعته

وتحويله ناحيته وحال رعيته مادياً وأديباً الى أحسن حال
تلك هي أعظم الفعال وأجل الاحوال وأكرم الامثلة
التي قد يكون لها أشرف الاثر في نفوس أبناء الشبيبة لانه
لا أحد يقدر أن ينكر حقيقة وقائمه وصحة حوادثها في حين
أن أحسن الروايات وأجمل القصص الوهمية مالم تشتمل على
بعض الآداب السامية تكون كفقاع الصابون تشرق لحظة
بالألوان الجميلة ولكنك اذا نفختها طارت شعاعاً كأن لم تكن^(١)



﴿ الفصل الخامس عشر ﴾

(معاشرة العظماء ومصاحبة خيار الناس)^(١)

إنه يوجد أمر اسمى وأعلى كثيراً من مطالعة تراجم وسير
فحول الرجال وعظماء الناس التي تعتبر كالمراة تعكس صور

(١) لقد تجد في تراجم وسير وحكايات السلف من الصحابة والتابعين وغيرهم
وفي محاضراتهم أموراً كثيرة وخلالات كريمة تجمع بين ما قصد المؤلف هنا من الغاية
واللذة وتربية الملكات الادبية السامية بما قد لا تقوم بمثله أحسن الروايات عندنا
كما عندهم. على ان المؤلف شديد الانحاء على الروايات مع اجماع كثير من العلماء
والحكماء على فائدة الحسن منها قديمة كانت أم حديثة اه معرب

(٢) مبداء ضرورة معاشرة أهل الخير والصلاح وحسن السلوك بالاعتناء بهم
وأثر ذلك في النفوس في هذا العالم قرره علماؤنا من السلف ويثبوا قضيه اه معرب

ما حيا لها مما هو مدون فيها أما هذا الامر الجليل والشيء الجميل فهو التأثير الحى لعظماء الرجال من الاحياء إذا سعد المرء بمخالطتهم وتشرف بمعاشرتهم والدخول فى صحبتهم إذ الكتب ليس لها فى الحقيقة غير مزية ايقاظ نفوسنا وتشويقها بالواسطة وهذا يكون فيه بنوع ما شئ من الضعف فى الباب أما الرجل العظيم الحى فانك بمصادفتك له فى طريقك فى الحياة وظفرك بصحبته فانه قد يؤثر عليك تأثيراً «مغناطيسياً» كريماً وتجد فائدته الجلى فى ذاتك إذا كنت ممن يتأثرون ويملاً قلوبهم الطيب من الشعور وجوانحهم الكريمة من الاحساسات اذ الاعمى لا يرى والميت لا يحس وهناك فى الناس طائفة — ولربما كانت من ذوى الاعتبار فى عرف الناس — حتى ولو تمثل لهم المسيح عليه السلام بذاته لقات « انه شيطان » أما أنت فلست من بداية نشأتك وتربيتك من ذوى الجحود كاولئك « الكتبة والفريسيين » بما شبت عليه فى الحياة من الخير وقوة الايمان وصفاء القلب وسلامة اللب بما للشباب المهذب المخلص من رقة الشعور وسمو العواطف وعاليه فان أجمل ما تصنعه لكمال حياتك هو أن تربط نفسك بصحبة أو معاشرة أحد عظماء الرجال

ممن تخالطهم أو تقدر أن تظفر بمخالطهم، وكلما كان جبل
 الارتباط أوثق كلما كانت فائدتك أجل وأعظم خصوصاً إذا
 كان ذلك الشهير ممن امتازوا بكريم العواطف وسمو الآداب
 أكثر من السمعة بالدهاء وعظم العقل بذلك يتجلى أمام بصرك
 سامي مقام الانسان وطبيعته البشرية الشريفة في أوج علائها
 وعظمتها الحقيقية فالمرء بما يأخذه من الانفعال النفساني وبما
 يشعر به من الارتياح الوجداني عند معايشة أمثال «شالمرس»
 Chalmers و «ماكلود» Macleod و «بونسن» Bunsen
 قد يجري في عروقه ويختلط بدمه شعور انساني عال رقيق قد
 لا يساويه في الفائدة وحسن الاثر ما قد يطالع من حكم اليونان
 ولا معارف الالمان ولا ما يعلم من فطنة الاسكتلنديين ولقد
 يضحك ويستهزئ أولئك الناس الذين لا وجدان لهم ويخلون
 من كل شعور كريم من مثل هذا ولا يؤثر عليهم أي مؤثر من
 هذا القبيل أما أنت فقد صلح حال اعتقادك باعتقادك وهذا
 جعلك تشعر بالخير من وراء هذا وأنت بذلك تزداد عيشة مرضية
 بما قد يجري في عروقك وتروح به نفسك من الخير بحسن
 اعتقادك والافتداء بأمثلة من قد تعاشر من الاخيار وتخالط

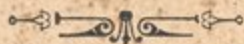
وإذا لم يتاح لك الحظ والتوفيق بمعاشرة مثل تلك النفوس
البارة الكريمة التي تلتقى بأشعة أنوارها على نفسك فذلك غير
تاركك للصدف ولا هو بموجد لك اضطراباً تحت رحمة التأثير
الادبي لما يحدق بك من الوسط الفاسد. نعم انه لا يمكن لاي
أمريء أن يتجنب مخالطة ذوى العشرة السوء ويتعرض لعدوهم
لكن قد يسهل على الانسان وهو الحر بان يقوّم أمره ويتجنب
على قدر الامكان أن يختلط بالطعام واراذل الناس لانه لا يوجد
في الحياة بأي حال من الاحوال أمر قد يعيقك أو يمنعك بنوع
ما دون اختيار صحبك وخلانك^(١) وتذكر ان العدوى الادبية
لتشبه العدوى المرضية في الامراض العفنة فيما يتسرب منها
وتنhek به الابدان كما تنhek النفوس بعدوى الامراض النفسانية
والشرور الانسانية ولو اجتهدت وحصلت على مقدار صغير
من طهارة نفس المسيح عليه السلام لما خيف عليك من مخالطة
حتى أولئك النسوة ربات الدعارة والخلاعة بدون أن تصاب
بسوء من جراء ذلك لما قد وقر في نفسك من كمال وطهر لكن
في مثل احوالنا الراهنة وبالنسبة خصوصاً الى ضعف الشبية

(١) تجدى في الادب العربي الاقوال الجميلة بخصوص اختيار الصاحب والخليل اهمعرب

في عدم القدرة على دفع الشر ومقاومة أميال النفس فالأحرى بك أن تعزم منعاً للشر عن نفسك وتقلع بالمرّة بدون تعلل بأى علة أو سبب عن الارتباط باناس قد يمكن أن يجروك معهم في طريق الشر والفساد الأدبي إذ ليس شيء من مغررات النفوس في أنواع المسار وملذات الحواس بالذنى يحط ويسفل بنا أدبياً بمثل ما تؤثر به على طبيعتنا معاشرة الأدياء والفجرة^(١) وليس من سماح ولا عفو على الرذيلة فانا يحق لنا بل ويجب علينا أن نسكب العبرات على الخاطيء ولأجله ولكن لا ينبغي علينا أن نعمل الخطيئة مطلقاً وأنى لأذكر كم بما حصل للشاعر «روبرت بورن» Robert Burns فإنه كان يتقن جيداً نظرياً طريقة الوعظ في شعره (كأنه أبو زيد السروجي بطل مقامات الحريري) ولكنه كان من أصعب الأمور عليه مزاوله ما كان يعظ به غيره بما يذكرنا في كل لحظة بقارص استهزاء «بليينوس» Pline على نبي الانسان بقوله عنهم «ليس أنخر من الانسان ولكن لا أحقر منه» فلا تقتدى بمثل هذا الواعظ السيء الحظ الذى كان يعلم الناس وما يتعلم هو ويصف الدواء لذى السقام

(١) ليصنى الى هذا النصح شباننا المهتكون المفتخرون بالشرور والفساد المعرب

وكانت نفسه أولى به وأحرى إذ ليس لك أنت من قوته وشدة
عارضته ما يسمح لك ويجعلك تستتر ورائه في نذرك وحماسة نفسك
وليكن معاشرتك وصحبك ممن ترى أنهم أحسن منك
وأفضل على قدر الامكان وإذا كنت من سوء الحظ لدرجة
ان ترى الظروف غير سالحة لك الا بمعاشرة ومخالطة السفلة
والسوقة فأعلم علم اليقين وأجعل نصب عينيك أبداً انك إن لم
تقدر ولم تتمكنك الظروف والفرص الموافقة من نفسك بان ترفع
من همة واخلاق أصحابك هؤلاء الى درجتك وهو ما يحتاج
الى حزم وعزم أكثر منه الى عطف وحنان فانهم قد لا يلبثوا
حتى ينزلوا بك الى درجتهم



﴿ الفصل السادس عشر ﴾

(محاسبة النفس والتوجه الى الله تعالى)

(في اوقات معلومه ^(١))

قال الشيخ الحكيم شاعر « ويمار » (Weimar) « إنه قد يسهل على الانسان أن يجرب كل الاشياء ماعدا أن يعيش بحسب الصدف » وانت اذا لم تشأ أن تعيش بحسب الصدف فحدد بالانتظام سويعات من وقتك تحاسب نفسك فيها لانه إذا كان من أعظم الاحتراسات واكبر المهام في الشؤون التجارية ان يجتهد المرء في البيع والشراء والاخذ والعطاء بالنقد على قدر الامكان واذا تعذر أمر ذلك في كل الاحوال فلا بد على كل حال من عدم ترك الامور يستطال أمر الديون فيها باهمال أعمال « الموازين » الصحيحة والحسابات الدقيقة حتى تحدد الامور بمواعيد فهكذا يجب أن يكون الشأن في معاملتنا مع الله تعالى ومع نفوسنا إذ ان أحسن « بوصلة » وأحسن « برجل » متقن

(١) من أنفس ما كتب المتقدمون من أجلة علماء الصوفية من أهل الاسلام في هذا الباب باب التهذيب الديني الامام ابن عطاء الله السكندري صاحب الحكم المشهورة ولقد رأيت له رسالة مختصرة جليلة دعاها تاج العروس في تهذيب النفوس قام بالخاطر ترتيبها وتنسيقها تنسيقاً عسرياً لطيفاً وطبعها وربما صدرت قريباً ان شاء الله تعالى اه معرب

صحيح قد لا يفيد ذلك الذي يستعمله بطريقة غير منتظمة ولقد
تعد في مثل هذه الحالة طريقة أو حكمة « الفيثاغورثيين » —
أولئك الذين تشبه طريقته الطرائق الدينية مما يمكن معه عدها
مذهباً فلسفياً — أعظم وأفضل ما يمكن أن ينسج على منواله من
النهج القويم فلقد جاء عنهم ما معناه

« قبل ان يغشيك النعاس اللطيف ويمحو ذكر ما مضى
من تهارك حاسب نفسك ثلاث مرات على كل الفعال المهمة
التي صدرت منك ، أين توجهت فيه خطواتك ، وما الذي
فعلته فيه من خير ، وما الذي فاتك فيه منه . فاذا ما أنهيت
من مناقشة نفسك أمسح على ذلك بل وأغسله بماء الاسف
واسعد بما فعلت من خير ونم قرير العين »

وفي رأيي انه ليس أمراً تسمويه همته الى الدرجة العليا
من الادب النفسى ليعيش بكمال الادب والاخلاص والتقرب
الى الله تعالى بل وحتى يصير كملك في صورة آدمي مالم تكن
له احوال منتظمة ورواتب اعمال تعبديه ومجاهدات نفسانية
في ساعات العزلة وأوقات الانفراد والخلوة فهناك بهذا التفريغ

والانقطاع الدوري يتهذب شأنه ويعرف قدر نفسه (١) جاء
 في زبور داود عليه السلام « في المساء عند ما تذهب لتأخذ
 مضجعتك ناقش نفسك وحاسبها ثم نم بسلام » وجاء فيه أيضاً
 « ان من لم يحصل خبزه مبللاً بدموعه من الخشية ولا يقعد
 قعدة اليأس الحزين في وحدته على فراشه في ساعات الليل
 الطويلة فذلك انسان ما عرفك انت رب القوة والعظمة »

تلك كلمات حكمية جاءت في سفر عظيم وكتاب كريم
 ولم يقلها شاعر يقول ما لا يفعل ويفعل ما لا يقول بل قاله انبي
 كريم وملك عظيم

وقال القديس بولس « لا تجعل الشمس تغيب وفي نفسك
 ما فيها من غضب وسخط »

فهذه الكلم الثمان تدلنا دلالة واضحة على فائدة هذه المعالجات
 للضمير والوجدان في أوقات معلومة وسويقات محدودة كما
 أرشدتنا اليه من قبل أشعار الفيثاغورثيين . ومن هنا تعلم أيضاً
 حكمة الانقطاع للسبت عند اليهود او الاحد عند المسيحيين -
 والجمعة عندنا معشر اهل الاسلام فضلاً عن سنن التهجد الليلي

(١) قرر الاسلام وأجلة العلماء عندنا بهذا الصدد أموراً جلية وأشياء جميلة اهمعرب

والاعتكاف — ليتفرغ المرء فيه للعبادة . نعم لست انكر ان
السبت ما جعل في قصد الشريعة الموسوية الا لراحة الابدان
من الاعمال وأن من أفيد الفكر الادبية ما اعتاده المسيحيون
من المزج بين تلك الراحة البدنية والعبادة الدينية بالنسبة الى
يوم الاحد الذي يسمونه لتلك الغاية «يوم الرب» فبما ان لدينا
في كل اسبوع يوماً نملك فيه تمام حريتنا ونخلص فيه تماماً من
كل مشاغلنا ومتاعبنا من امور المهنة واسباب المعاش فليس من
الرشد في شيء ان لا نخصص مع ذلك شطرا من هذا اليوم
لتهذيب وجداننا ورياضة نفوسنا بالخشية والخشوع واللجوء الى
الله تعالى، وما ينتقديه الاجانب على الاسكتلنديين من شديد
تمسكهم بالدين وكبير تعظيمهم للاحد ليس لهم فيه من حق وقد
تسرعوا فيه كثيراً عوضاً عن أن ينعموا الفكر ويعمنوا النظر في
أن سبب ما يتحلى به القوم من الاطمئنان والتكشف ومثانة
الاخلاق على وجه العموم إنما يرجع في الحقيقة الى شديد تمسكهم
بالعبادة وتزكية النفوس وتطهيرها في تلك الاوقات الدورية.
أما تلك الخصلة الكثيرة الوضوح في أخلاق جيراننا
الفرنساويين من جعل الحياة لديهم كأنها «مرقص دائم السرور»

فهذا قد يجعل في سلوك المرء في مهام الحياة الجدية وكل الشؤون العظيمة فيه ما فيه من المعائب والنقص غير اللائق بالعظمة الادبية الصحيحة . نخلو اناشيدنا وتراتيلنا يوم الاحد من زخارف التفتي ربما كانت تكسب صفاتنا التعبدية الظاهرية بعض الشيء مما لا يعجب ولا يطرب غير ان أولئك الفرنسيين لو أمضوا يوم أحدهم وصر فوه بعض التقشف والنسك لاصبحوا في اليوم التالي وكل قواهم مملوءة نشاطا وكل أعمالهم قرينة السداد جديرة بالاحترام اكثر مما هم عليه الآن^(١)

﴿ الفصل السابع عشر ﴾

(الصلاة والدعاء الى الله تعالى)

ان أمر تهذيب النفس وتأديب الضمير ليسوقنا بالطبع الى التكلم عن الصلاة والدعاء لارتباطهما بهما أيما ارتباط . ولقد يقولون في هذا العصر انه عصر التحليل والتركيب العلميين

(١) رد المترجم الفرنسي دفاعا عن بنى قومه على عبارة المؤلف هذه بان الامر الذي ينتقده بهذا الصدد في اخلاق الفرنسيين ليس من عادة الامة الفرنسية بأجمعها وإنما هو من عادات الطيقة السفلى من العمال واضرابهم من الاغبياء في كل أمة امعرب

والفحص والنقد والتقصي الى أشباه ذلك من أمور العلم والمعارف مما يعد ذا السلطة وصاحب القوة التي تخضع لها كل الاشياء وحتى ليقال في المثل الآن « العلم هو القوة » أقول ان هذا ليس بصحيح الا ضمن الدائرة التي لهذا العلم عليها سلطان ولها منه مستمد لكن في هذا العالم أيضاً أشياء أخرى هي فوق هذا العلم بحسب المقصود به هنا وفي أعلى منصة تسمو اليها المعارف البشرية وتغنو لها اعناق الرجال إذ هناك قوى حية غير داخلية ضمن تلك الدائرة العلمية ولا سلطان لها عليها في الدائرة الادبية ليست المعارف الدنيوية هي التي تسمو بنفس الانسان وتحرك فيها الاحساسات والعواطف الكريمة والتروح بروح الشعور الشريف وانما تحرك وتسمو بقوى روحانية أدبية وان الصلاة والدعاء لخير واسطة لان تتروح بهما النفوس وتسمو بهما الوجدانات وتتلذذ وتنشط^(١)

أما اذا فقد المرء هذه العاطفة الدينية وتجرد من تلك الخلة الكريمة فان نفسه لتنحط وتسفل عوضاً عن أن ترتفع وتشرف إذ تكون في هذه الحالة كالطير المحبوس في قفصه

(١) لاهل الاسلام في الباب دقائق ورفائق حرية بان تطالع وتستوعب لدى ابنائه المصريين اه معرب

لاشغل له غير فخص وعد أعواد قفصه . نعم أننا لا نريد فيما يتعلق بالدعاء أن يستغرق المرء في الضعف الذاتي والجهل المطبق بما أودع البارئ تعالى من محكم نظام وعظمة وجلال في نواميس المجريات الكونية لدرجة أن يدعو المرء ويطلب إلى الله ما هو في حكم المستحيل فيخرق له تعالى الخوارق ليعطيه ما يبتغى ويمنحه ما يشتهي لأننا لم نندب إلى العبادة والدعاء إليه تعالى حتى يغير سننه في خلقه من أجلنا وإنما لكي توافق أفعالنا وخلالنا مراد الله تعالى وسبل هدايته التي جعلها لعباده (١) أما ما قد يمنحنا البارئ جل شأنه من مواهب ومنن فيما نضرع إليه به ونبتهل مما هو من نصيبنا ومقسومنا عنده فما لا يمكن الحكم به ولا تقديره ولكننا نعرف من نفوسنا على الأقل شيئاً واحداً وهو أنه ليس من واسطة عظيمة ولا وسيلة أقرب إلى الطبيعة البشرية في أعداد نفوسنا وتهيئة ذواتنا لأن نعيش بالطاعة والخشوع التام لتلك الذات العلية القدسية مصدر كل الفيوضات الخيرية من أن نتحرى لذات ذلك الاتصال والتعلق النفساني بالامر الإلهي الشريف وإن نلتزم بكل ادب وإخلاص وخشوع تلك

(١) تجدد فيما قرر العلماء عندنا في آداب الدعاء وحكمته وشروط استجابته نفائس جليله فلترجع في مظانها من أجله الكتب اه معرب

الخطة المستقيمة وذلك السراط السوى الذى هو النهج الوحيد
المناسب لحال الخلق الكريم امام الخالق العظيم .

أما من الوجهة العملية فليس من أوكد أثر وأوضح دليل
على استعداد المرء الأدبي من الوجهة الدينية سوى قيامه بفرائض
الله ثم الدعاء والتضرع اليه تعالى . إنما من أغرب احوال
الجهالات والضلالات خصوصاً في البلدان المسيحية ان يحسن
شيطان الجهل للمرء فيضرع الى تعالى الله ويطلب اليه استجابة
دعائه أو إحلال بركته في أمور وفعال من الرذائل والمفاسد
أو الجنون المحض^(٢) فإذا كان قد ساع لدى قدماء الوثنيين في
بعض ظروف وأحوال وبنية خالصة وطبيعة ساذجة بحسب
تقاليدهم ان يطلب احدهم الى المعبود « بكشوش » (Bacchus)
أو « الزهرة » (Vénus) ان يكرسا افعاله في السكر وادمان
الخمر أو ملوك سبيل الفساد فليس لنا نحن ذلك بل بالعكس
لنا اعظم عظة فيما جرى لارباب الكبار في « الجليل » فلا
ينبغي ان نكون مثل هؤلاء الاثمة الخاطئين ثم ولقد اثبت
الاختبار العام ان الدعاء والابتهال الى الله تعالى في السر والشوق

(٢) قطع أهل الاسلام بالحرمة لمثل هذا الدعاء والاثم فيه اه معرب

النفساني والتوجه القلبي (ولست أريد في كل مارميت اليه غير هذا الاسلوب لان ما اعتيد عليه من رواتب وصيغ تتلى وتكرر صباح مساء بلا تدبر ولا تمن قلبي وشوق نفسي لافائدة منها الا إذا صحبها الاخلاص والتدبر القلبي) إنما هو روح الحياة وعظيم مستمدها عند ذوى النهى واهل التقى وقل ان يذوق لذة ذلك وحلاوته ذلك الرجل الغليظ القلب الفظ الطبع بل هو بالعكس ربما رآه أمراً ضاراً به اذا جرى عليه - كما يضر ريح الورد بالجعل - أما انت أيها الشاب المتأدب بالادب النفسى والتهذيب الدينى فأرسم على صفحات قلبك آيات الصلاة والدعاء والابتهاال الى الله تعالى بالاخلاص وازام النفس الخشمية والتوقير لعظمة رب الارباب ومكون الاكوان ومصدر كل خير وهبنا الله اياه تلك هى اعظم وسيلة صحيحة بل واجل علاج ناجع لتجنب العقل البشرى والنفس الانسانية الخفة والندق والجرأة النفسانية التى سرعان ما تكبر وتستغلظ مع المرء كلما تقوى في جانب معرفة وعلم مجردين عن الايمان مما يملأ القلوب استكباراً وعتواً بدلاً من ان يملأها طهارة ونقاوة ولقد اعتدنا بحسب تقليد كريم ان نسبق تناول طعامنا ونفتحه بدعاء شكر تؤديه

تعظيماً لشأنه واعترافاً بقدر نعمته علينا فلتتعلم اذن ان نجري على
 هذا النمط وذلك المثال في امور الحياة الاخرى لا بصورة
 تجعله « صورة » بل بمجد وعزيمة واخلاص يجعله دائماً حقيقة
 حية من نفوسنا (١)

﴿ تمت والحمد لله تعالى ﴾

(١) ليتدبر المسلمون بالقياس على هذا ما جاء عندهم في الباب وليفقهوا تلك
 الحكمة العالية المودعة في مثل الحديث الشريف « كل امرئ بال لا يبدأ فيه ييسم
 الله فهو ابتر » اهـ معرب

فهرس

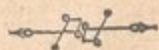
صفحة

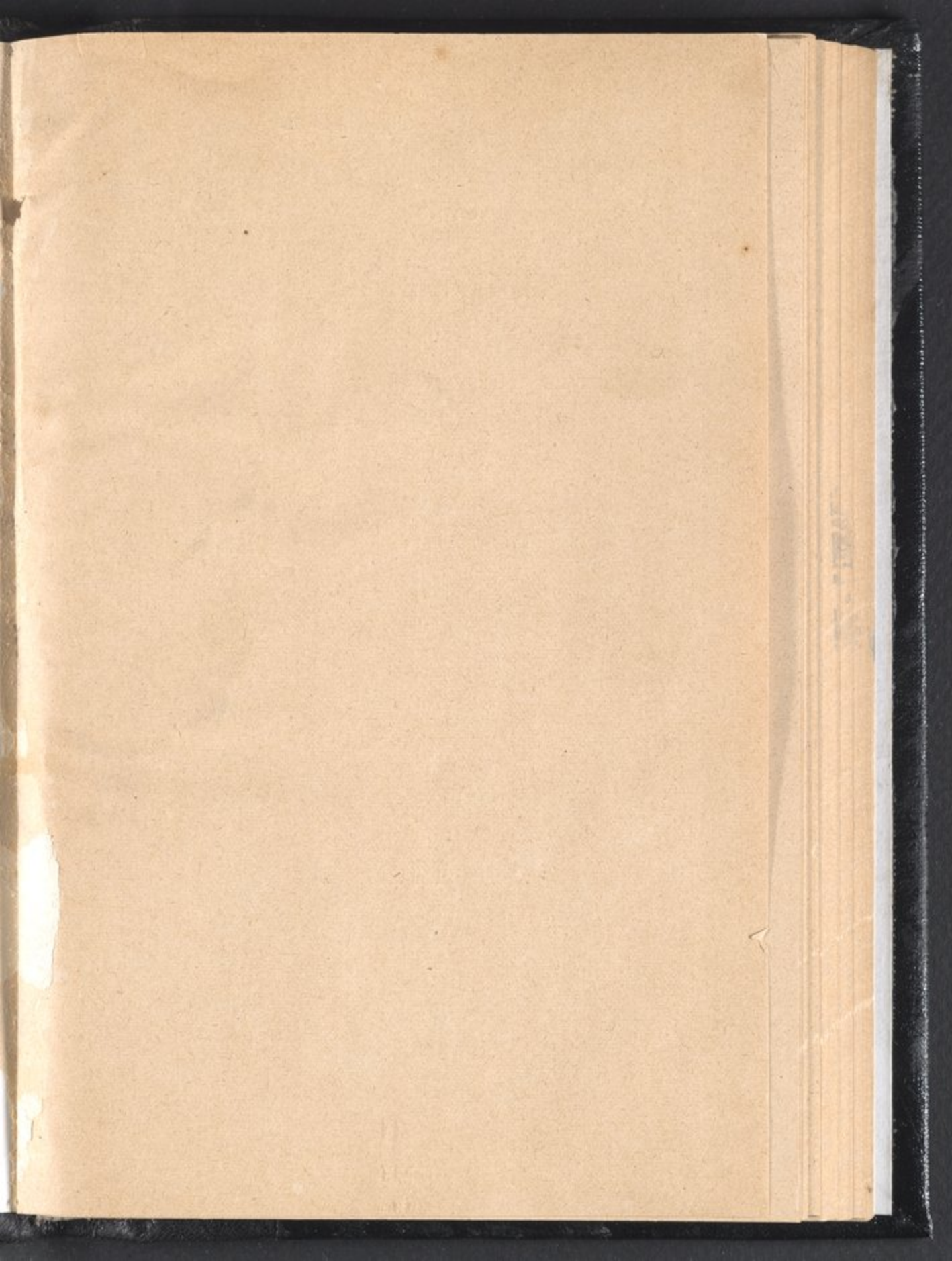
٣	فاتحة هذه الرسالة
٥	المقالة الاولى — التربية العقلية
٥	الفصل الاول الكتب ليست باول الاعضاد في التثقيف
٨	» الثاني النظر والتأمل
٩	» الثالث كيف يضبط نظر الاشياء بالترتيب
١٣	» الرابع التعقل ومخرى الاسباب بالدليل
١٨	» الخامس فائدة علم المنطق وما بعد الطبيعة
٢٦	» السادس التخيل والتصوير وثمرتهما
٣١	» السابع تربية الازواق السليمة والاحساسات الاستحسانية
٤٠	» الثامن تربية الذاكرة وتقوية الحافظة
٤٦	» التاسع الفصاحة والبلاغة في الانشاء والخطابة
٥٣	» العاشر انتقاء كتب المطالعة واختيارا سفارها
٦٠	» الحادى عشر ارشادات في المطالعات الفنية
٦٦	» الثانى عشر نصائح في نعلم اللغات الاجنبية
٧٣	المقالة الثانية — التربية البدنية
٧٣	الفصل الاول مقدار عناية الشبان بصحة الابدان
٧٥	» الثانى ضرورة تمرين الاعضاء بالرياضة
٨٥	» الثالث الطعام والشراب

صفحة	
٩٠	الفصل الرابع تهوية المساكن
٩٢	» الخامس نصائح في النوم وإراحة الابدان
٩٤	» السادس الاستحمام والاستشفاء بالمياه الباردة
٩٧	» السابع كبح جماح الشهوة
٩٩	المقالة الثالثة — التربية النفسية
١٠٠	الفصل الاول العظمة بالفضيلة وتحلية النفس بالاخلاق الكريمة
١٠٥	» الثاني الاعتراف بالله وثمرته
١٠٨	» الثالث وجوب التخلق بالفضيلة منذ الصغر
١٠٩	» الرابع الطاعة
١١٤	» الخامس الصدق
١٢١	» السادس لا تكن فرغاً من عمل
١٢٤	» السابع قصر النظر النفسى
١٢٩	» الثامن الاهتمام بالامور والاعجاب بالاشياء
١٣٢	» التاسع الاعتدال
١٣٥	» العاشر اياك والاعتداد بالمال أو التكالب عليه
١٣٨	» الحادى عشر الثبات
١٤١	» الثانى عشر تعويد النفس على الخير
١٤٤	» الثالث عشر التحلى بحلى الحكم العالية
١٤٦	» الرابع عشر الاقتداء بمعظماء الرجال فى كل الاعمال
١٥٢	» الخامس عشر معاشره العظماء ومصاحبة خيار الناس
١٥٨	» السادس عشر محاسبة النفس والتوجه الى الله تعالى
١٦٢	» السابع عشر الصلاة والدعاء الى الله تعالى

صواب	خطأ	سطر	صفحة
بان	لان	٨	٣
ظمئنا	ظئنا	١٥	٦
بزعه	يوزعه	٩	٧
من قبل	من	١٨	١٠
الاشياء	لا اشياء	١٤	١١
الحقبة أحيانا	أناحيا	١٨	١٥
الناشيء	انثء	١٠	١٨
،	،	٤	١٩
لهم	له	٨	١٩
يطالعوا	يطالع	١٦	٢٢
الناشيء	النشء	١٣	٢٦
تمرر	تمرد	٩	٢٩
الناشيء	النشء	١٠	٣٠
،	،	٢	٣٥
،	،	٩	٤٧
،	،	١	٤٨
شيء	شيئاً	٥	٤٨
وهو	وهي	٧	٤٨
لاحظ	ملاحظ	٤	٥٠
Cudworth	Cudwrth	٩	٥٥
Clèomène	Clomène	١٦	٥٨
Aratus	Aratous	١٧	٥٨

صواب	خطأ	سطر	صفحة
Grote	Groute	٣	٥٩
الكبير	كبير	٢	٦١
الاذن	بالاذن	١٣	٦٨
كتاب أدبي لطيف	كتابا أدبيا لطيفا	١٧	٧٩
المدائمة	المدوامة	٨	٨٩
فاذا	فاذ	١١	٩٨
الخليفة	الخليفة	١	١٠٠
عارضته	عارضة	١٣	١٠٢
اشباه	اشتباه	٦	١١١
الرحلة	الرحلة	٧	١٢٦
الزوايه	الزوايه	١٣	١٢٨
النفسية	والنفسية	١٥	١٢٩
الآداب	الآآداب	١٦	١٣٣
انه	انه من	١٢	١٣٥
من ان تصاب	من تصاب	١	١٣٦
بعيداً	بعيد	٥	١٣٩
السائح	السائح	١٧	١٤٢
متغلبا	مغلباً	٢	١٤٣
تجد	وتجد	٧	١٥٣
يتح	يتاح	١	١٥٥

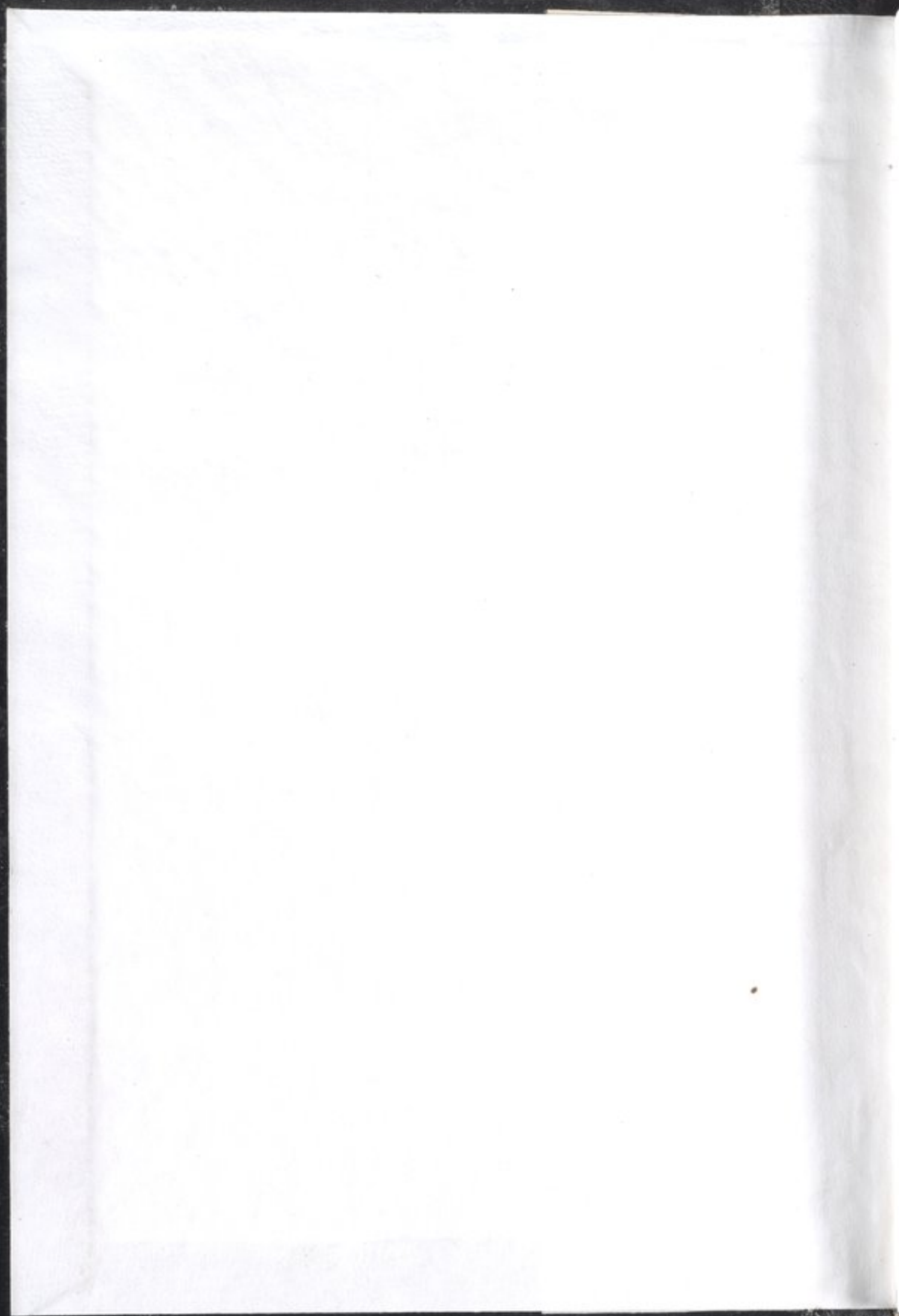




14291988

B 12770917

18 FEB 2002



25